السكن في البيت الأبيض

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: السكن في البيت الأبيض

المؤلف: تحسين كرمياني

الطبعة الأولى: 2015

لوحة الغلاف للفنان: خالد خزعل

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين

طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: 00963- 944628570

Email: akramaleshi@gmail.com

تحسين كرمياني

السكن في البيت الأبيض

مقالات

إلى:

الذين أعطوا شعوبهم حياتهم

وخرجوا من الحياة

حكايات

أيدعونها أزمة ولكنها خداع.

ليس المال هو القليل، بل المحتالون هم كثيرون.

الأسواق تحكم، غير أنني لم أصوّت لها.

يقررون لنا بدوننا.

.....

أنا أبحث عن حقوقي، هل رآها أحد؟

إذا لم يدعونا نحلم، لن ندعهم ينامون.]

إدواردو غاليانو/أطفال الزمن/ص

كلمة

ليس من الضرورة أن تكون هذه المقالات سارية المفعول، كونها كانت ومضات أو شحنات غضب صادمة، ولدتها ظروف بلاد ليست عابرة، ظروف مصاغة من وراء الكواليس لإعادة توزيع الموارد والمناطق الإستراتيجية ولو على آلام الشعوب ودمائها، وفق منظور حداثي يليق بمتطلبات المرحلة وتوقعات الغد لشرطة الحياة وجلاّديها.

قد تكون هناك جوانب ما تزال مستعصية الحلول، وربما لن تكون حلولها ميّسرة لوقت آخر وقد يطول أو لن تأتي مطلقاً، تشكلت حفنة أوهام وآلام راحت تشاكس الخيال، وتدفع عربة الرغبة عبر الظنون لطرح وجهات نظر، قد تأتي مغايرة أو منافية أو مقاربة أو مستفزة، وقد تدنو من الحقيقة لمسافات محددة قد تمتد وقد تحايث أو تتماس معها، ذلك ربما من محاسن الصدف أو قراءة دقيقة للحياة.

ثمة دوافع شخصية تدفعني أن أحتفظ بوجهات نظري في كتاب تأخر بعض الوقت، لم أفكر في يومٍ ما بجمع المقالات التي نشرتها صحيفة(الزمان)عبر

أعمدتها و(الحوار المتمدن) البعض منها في كتاب مستقل.

مزاجي دفعني أن ألملم هذه الإضمامة كتحصيل حاصل وقيافة ثقافية خضت متاهاتها وأجبرتني أن أدلو بدلوي في محفل أغراني فيه كنوع من التحدي وقول كلمة حق ولو على الورق.

مجمل القول..

قد تكون مجرد رغبة وقد تكون حالة لابد منها لتكملة قيافة مكتبتي الأدبية، أنها رغبة الإسهام في بناء صرح الحياة المأمولة ولو بالكلمات، لأن تشخيص العلل هو الأساس قبل أن يتم رحلة معالجة خلل الواقع.

هذه المقالات كتبت من باب الحرص والحب في دفع الحياة خطوة نحو التحسن، ومحاولة قد تكون متعثرة أو شبه مجنونة لوقف نزيف الألم في ربوع بلاد كانت ذات يوم منارة للحياة وحضارة عريقة لأجيال معذّبة وسراجاً للحالمين ومأوى للهاربين من (عدالة) الظالمين.

لا أقر بصحة كل ما كتبت.

لن أطرح وجهات نظري على أصحاب وجهات نظر مغايرة كي يدلوا بدلائهم.

مجرد كلمات شحنت ذاكرتي الأدبية برغبة الكتابة، فولدت كما هي وأريدها كما هي.

كنت أمر بأيام مأزومة، أبحث عن فرص عيش

شبه ملائمة، لم أجد سوى القلم وسيلة متواضعة لدفع الحياة خطوة ولو متعثرة نحو الأمام، حياتي أنا وعائلتي لوقف بالون الهم وإبعاد مخالب الجوع وهو يمتد لنهشنا.

هي مجرد مقالات.

لن تستهدف غير نقاط واضحة الظلام، أرجو أن تتكشف عن صحو يعيد صورة المستقبل المشرق لنا ولمن يلينا ولو بعد حين.

أقوالي:

((خاطئ من يقول إنها سياسات خاطئة، كلا..بل هي ذكية الأبعاد إلى أبعد الحدود، طالما حققت الأهداف المرجوة لهم))

((لكل حرب غاية ولكل غاية حرب خاصة))

((الحكومات حروف جر..أنها تجر شعوبهم إلى الجحيم دائماً وإلى النعيم نادراً))

((الحكومات المرتبكة ليس بوسعها تقديم أعلام مقنعة لشعوبها))

((ماضينا خلايا نائمة، تستيقظ سلباً أو إيجاباً حسب متطلبات الظروف))

((الديمقراطية هي ذروة الانحطاط للشعوب الشرق أوسطية))

((لماذا يحق للشعوب اختيار حكامها، ولا يحق لها تغيرهم أوان الأزمات والإخفاقات!))

((في بلادنا يغدو المواطن قبل الانتخابات تاج رأس، وبعدها يداس بالمداس))

((لم يحدث أن امرأة واحدة في التاريخ هربت من قلب المعركة..فلماذا لا تولى الأمور لتقود معارك الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية؟))

((حكام الغرب يمشون على أقدامهم وحكام العرب يمشون على أقوامهم))

((قوّة الآخر دليل ضعفك))

((مكر الآخر وتفوقه دليل غباءك))

((الماضي سرطان يلتهم الحاضر ليحرق المستقبل))

((الحقيقة مصباح الكون لا أحد بوسعه إنارته))

((أينما ترتفع البنادق تموت الأخلاق))

((بمرور الدقائق يموت الزمن))

((ستنتصر، فقط لو احترمت عدوك))

((شاب ثوري واحد بوسعه أن ينهض شعباً ويقلب الحكومة، ولكن كل الشباب الثوريين يفشلون في قيادة الشعب بعد ثورتهم))

((سارع وأحرس الوطن ولو بأي عمل ولا تلتفت لمن ينشغل ويروج للفتن))

((خرائب الأوطان من خرائب ساستها))

((في كل عين امرأة باكية يرتسم أفق الوطن بوضوح))

((لا تظن فقط انه تجار حروب، بل أغلبهم تجار شعوب))

((العجب كل العجب، ساسة العرب يفسرون أحلام الشعب شغب))

((رضينا بحكم المماليك، لم لا نرضى بحكم الصعاليك؟))

((تراشق الاتهامات تحت قبة البرلمان تصنع شعوب مهزومة))

((الوطن حقيبة قهر))

((الظل أنا خائبة فرت من جسد العبودية))

((أقبح الشعوب تلك التي تعيش في دولة وتعلن ولاءها لدولة أخرى))

((البراءة شراسة مؤجلة))

((فساد ذوقك دليل فساد قادتك))

((الأمم غير المثقفة هي الأمم المهزومة في معارك الحياة وحروب المستقبل))

((كلنا ننتمي إلى أمم، ولكن لم أسمع بأن أمّة واحدة تنتمي إلينا))

((مصيبتنا أحلامنا وليد أمزجتنا))

((ليس المهم أن تكون قائداً تقودك كوكبة حراس، بل الأهم أن تقود مريضاً نحو العلاج، وفريقاً إلى منصة التتويج، وحبيبة إلى أحضان الحبيب، وشعباً إلى شاطئ السلام))

((حتى الطيور تبكي ولكن تغريداً))

((حتى اللياقة لها حدود))

((في السياسة تحتاج إلى كمية معقولة من الاحتيال كي تقنع العالم))

((يتراشقون بجملة. جريمة ضد الإنسانية. عليهم أن يتأكدوا أولاً هل واحدهم إنسان؟))

((الحرب خدعة..في بلادنا بدعة))

((أنا مع الدولة..ليست مشكلة، تكمن المشكلة بأن الدولة ليس معي))

((أنا أنتمي إلى بلاد لا تنتمي لي))

((دافعت عن وطني في كل المحن، ولم يدافع الوطن عني ولو في محنة عابرة))

((الإنسانية أن تضحي من أجل إنقاذ الآخرين))

((الإنسانية أن تقتحم الجحيم لتعيد بريئاً إلى فردوس النعيم))

((الإنسانية أن تشبع الآخرين قبل أن تشبع نفسك))

((الإنسانية أن تحرر اليائسين من يأسهم والمساكين من فقرهم))

((الإنسانية سرطان لا يصيب إلاّ أصحاب الضمير))

((الإنسانية أن تجعل الأعداء أصدقاء))

((الذي لا ينتج الثمار بلا أصل))

((المنيفيست فكرة تقشفية))

((الطائفية أمواج تنتظر وصول الرياح))

((الصمت غضب موقوت))

((الفشل طريق النجاح، كم تحتاج الحكومات العربية من السنين كي يكتشفوا هذه الطريق))

((كل حكام العرب شهرتهم شكلاً وليس مضموناً))

((ما لم تقدر على الكذب ستفشل سياسياً))

السكن في البيت الأبيض

كثيرون حسموا في أذهانهم قضيّة الصراع من أجل السكن في(البيت الأبيض)مذ انشغلت شاشات الفضائيّات، وتناثرت الإعلانات المعسولة بشكل مسرف من قبل الحزبين(الديمقراطي والجمهوري)، كمّاشتي الظلم الأبدي لعالم واهم ما زال ينتظر الخلاص من أميركا.

ما أن أطلقت الوجوه الجديدة عبر ـ مانشيتات ـ (تلهي) الناس أكثر مما توضح ما هو مأمول أو مترقب في الأفق من غموض وأهداف كلها تذهب نتائجها لتكملة مشروع (الحلم الأمريكي) الكبير وربما الأخير.

تنشغل الأمّة الأمريكية بمعضلة الصراع الرئاسي أكثر مما يستوجب الوقوف بمشاعر متفاعلة مع الكوارث المتنامية على وجه البسيطة، المجاعة والتصحر والزلازل وحروب المياه والفيضانات الكارثية والأمراض الحديثة وتصادم الأديان والمعتقدات البشرية وصعود نبرة الإرهاب الفئوي والإرهاب السياسي والعودة إلى السلفية.

هؤلاء الذين قالوا كلمتهم سريعاً حول الساكن الجديد لـ(البيت الأبيض)، ربما أرادوا التخلص من

هذه اللعبة الأمريكية الجارية كل أربعة أعوام، بحسم مبكر للنتائج، والتفرغ التام لمشاغل أهم وأمر.

فمن يفوز بالرئاسة، لا يوقف التقهقر البشري المتواصل ولا يوقف خزائن المال الكوني (المبذور) في الهواء الطلق، ولا يقلل من صرخات الجائعين أو يقدم لهم قوت يومهم، ولا يوقف منابر التنابز بالعرقية والتلاسن بالكراهية ولعبة الإلغاء للشعوب المسعورة.

فالشعوب الفقيرة وأصحاب الموارد الطبيعية الحيوية تذوي وتتعرى وتتآكل، والسياسة الأمريكية تواصل تلميع الزمن بثقافات قسريّة جديدة، غايتها جعل العالم(البيت الصغير) وله (أب) واحد، كي تسيطر على المال العام، كي يوجه ويصلح ويرسم أفق الحياة كما يريد لا كما يراد.

ربما رأى الكثير، أن(ماكين)هو الأقرب للوصول إلى(البيت الأبيض) وفق مدارسات ذهنية ربما كانت إلى حدٍ ما تتعكز على معلومات غير محسوبة ولا موزونة بميزان السياسة العاقلة، واضعين في البال أن(البيت الأبيض)يعشق بيض الوجوه، ولا يهمه سود القلوب، وهو يمقت سود الوجوه حتى لو كانت قلوبهم بيض.

هؤلاء ربما أطلقوا ترشيحاتهم من غير تبصير للأمور التي(تحرّك)الجو العام للعالم، لأنهم عاجزين عن قراءة الغد، أو إجراء عملية غربلة التأريخ وملاحقة الخط البياني لسياسة العم سام.

بينما كان (أوباما) الرجل المنتخب مسبقاً، ما أن وضع(بوش الابن) قدمه في الحقبة الثانية والأخيرة من حياته الرئاسية، المغموسة بالدم طبعاً، وهذا شرط أساس لكل من يحلم أن يقود العالم أن يتهيأ للسباحة في دم الشعوب المؤهلة لتكون ضحايا أو قرابين تدفع عجلة اقتصادهم خطوات إلى الغد، طالما هناك(حكومة خفيّة)وربما يذهب البعض أن هذه الفكرة عبارة عن ـ وهم عالمي ـ رغم بيان لهجتها، باتت تلك الحكومة تدير وتحرك عجلة القضايا المصيرية بعصا سريّة، هذه الحكومة التي متواجدة في كل مكان وفي كل بلد، لها أعين اخترقت المستقبل، ولها القدرة لتيسير عجلة الكون وفق متطلبات الرغبة، طالما الأمم مفككة والشعوب يائسة، ومن يجلس على كرسي الحكم منتخب من قبلهم.

فالحياة عندهم (ملعب كرة القدم) والبشر كرة مستديرة كيفما تشتهي الأقدام الرأسمالية تركل بعنف لتحقيق الأهداف.

(الحكومة الخفيّة)أتت بالصحيح ـ حسب مخططاتها ـ هذه المرّة، لأنها قرأت أوراق المرحلة بتمحيص ووجدت نفسها على شفا حفرة من السقوط الكامل، فتداركت الأمر وأعادت نفسها إلى واجهة الزمن.

لقد فعل كل (رئيس) بالدنيا كما شاءت الخطط الموضوعة، حتى فقدت (أمريكا) ماء الوجه، ولم يعد هناك أحد يثق بهذا الشرطي الكبير، بعدما توسعت

ضـرباته وزادت نفقاتـه وفقـد رشـده وضـعف بصـره وتشتت بصيرته، وصـار عليلاً مكلف العناية منبوذاً أينما يتواجد تنهال عليه اللوم.

فالـذين يسـهرون مـن وراء الكـواليس لـديهم القـدرة علــى معالجــة الأزمــات مهمــا كانــت، لــديهم المــال والصـحافة ووسـائل أعـلام مقنعـة، حتـى اكتشـفوا أنهـم أمـام هاويـة، فحـق علـيهم إجـراء تبـديل جـوهري فـي أجندتهم الغامضة، مادام العالم يريد هذه المرّة خلاف نظـريتهم فـلا بـأس مـن التماشـي مـع مـا يطلـب العـالم، شريطة أن يكون ظاهرياً معهم، وجوهرياً لا يحيد عن سكّة (الحلم).

فالوجوه لا تشكل سوى النزر اليسير من المطبات والعراقيـل العقائديـة، فـأتوا هـذه المـرّة بــ(أوباما) ولا بأس من تغيير (البنت..آغون) بـ(الأبن..آغون) طالمـا النهـر الرأسـمالي يجـري مـن دون عـوارض، هـذه التركيبـة الجديـدة فـي السياسـة الحاضـرة إغـواء عـالي الدقة، وجذب كبير للعالم للتوجـه نحـو (أمريكـا) طالمـا أنتفت الحاجـة لتلـك المخـاوف المتنامية، مـن السياسـة (التفرديّـة) التـي كانـت الثـوب المـزمن لــ(العم سـام)، والمحصلة هـي تفاعل جديد وتنـاغم بلحـن آخـر، لحـن شامل التخدير، ويكون (الحلم) قائماً علـى قدم وسـاق، وتمشي الأمور من جديد، وفق الخطّـة المرسومة نحـو شاطئ الإنفراد.

النــاس فــي بــلاد العم(ســام)لا يعنــيهم الجــوع ولا

التعري ولا تهاب العواصف المدارية ولا الحروب الدائمة لساستهم، فهم نائمون أو(مخدرون)على أنهم الـ(سوبرمان)وهم أبطال العراك البشري، والمنتصرون في كل واقعة عسكرية، ولديهم القدرات المدمرة، وهم أبطال المسافات القصيرة والبسيبول والملاكمة، ولا يخافون من التحرك الدائم لأسواق المال العالمي، ولا ارتفاع أسعار(البترول) لأن نفطهم مخزون، ويأتيهم النفط مجاناً من رؤساء(خانيث) مقابل كراسي الرئاسة، أو يأتيهم بثمن بخس مقابل الحماية المزعومة، لا يهمهم طالما المال يهطل من (قاصات) الدول الفقيرة، منهوبة تحت ذرائع شتى، وليس لديهم خسائر بشريّة في الحروب، فالقتلى هم مرتزقة العالم الفقير، يقتلون من غير ذرف دمعة حزن عليهم، وكل أمريكي فخور بأنه(جاكي شان) العالم، وربما سيتم تغيير (البيت الأبيض) إلى (البيت الأسود) في مرحلة زمنية قادمة، لمتطلبات المرحلة العالمية الحرجة، وليس ببعيد أن يكون المستقبل بين أوراقه (رئيس)من أصول عربية، وربما مسلم، كي يتم تخدير البقية الرافضة لهم، فالوجوه لا تشكل في إستراتيجية أحلامهم سوى واجهة إغراء، يرتضيها أصحاب العقول المتخلخلة، والبصيرة المشلولة، فـ(أوباما) هو(بوش) آخر، و(دراكولا) جديد، وليس لديه ما ينقذ العالم من حرب كونية ذريّة قامت قائمتها، جرّاء تصادم الحضارات والعقائد والعرقيّة

(التـي أشـعل مرجلهـا هتلـر) والأزمـة الماليـة وزيـادة نسبة التصحر والبطالـة واضـمحلال العقول، وتفكيك الدوّل الغنية إلى أقاليم خانعة.

الحـرب فـي مفهـوم الرأسـمالية هـو الحـل النهـائي لوقف الانهيار والتصدع والبقاء لزمن آخر.

فـالرئيس الجديد سيضـيف خطابـات جديدة، سيرفع لبنـات أخـر مـن الصـرح الحديـدي لأمّـة سـتموت لـو (تعقلت) قليلاً.

فيـا مـن تعجـل فـي توقعاتـه وأطلـق حكمـه بعجالـة، (خيـر الأمـور أوسـطها)، والوسـط هـو الحيـاد، وتـرك الجهتين لمـن لديـه غايـات، فـ(ماكين) لـن يصـل(البيت الأبـيض) مهمـا فعـل وتفاعـل أمـام العـالم، فهـو فـي بصيرة (الحكومة الخفيّة) غير ناضـج أتوا بـه لتحريك المشـاعر الكونيـة التي(زعلت) علـى أمريكـا جرّاء مـا اقترفـت مـن كـوارث أثخنـت جراحـات العـالم وأزَّمَـتْ ويلاتها.

هكذا تنتصر أمريكا بألعابها الماكرة.

هـا هـم البشـر بـدءوا ينسـون مـا مضـى، تراكمـات المآسـي، ويتهيئـون لمرحلـة جديـدة، قـانعين مـن غيـر التراجــع قلــيلاً، وتقليــب الأوراق الماضــية لمعرفــة النتـائج المتكـررة، آملـين أن يكـون (الـرئيس) الجديـد، قبلـة الأمـل المرجـوة، ناسـين عـودة الكـرة إلـى تلـك الأقدام الحديدية التي لا تكل من الضرب.

يموت البشر.

تتبدل الأجيال.
ويبقى(الحلم الأمريكي)المرض العضال الذي أبتلي به البشر إلى أجلٍ غير مسمى.
يقول ميغل أنخل أوستریاس في البابا الأخضر:
[أن الرأي العام هو عبارة عن ذبابة بلهاء، بوسع صحافتكم أن توقعها في نسيج عنكبوتها]

سيرة الدكتاتور..
من الفردانية إلى الأفرادية

يقول(ديك شيني):

((صنعنا دكتاتوريات وفق مقتضيات كل عصر، آن أن نغير منهجنا السياسي لمواكبة عصرنا الراهن!))

وما هو مشاع في الشارع العام يتداوله الجاهل قبل العالم، أن (أمريكا) وراء كل تغير حكومي على وجه البسيطة، وهي من تأتي برجال من خلف الكواليس وتؤطرهم بهالات قدسية وتواريخ ممجدة مما يغدون أصناماً لا تمحى من البال بعد زوالهم، يحفرون قلوب رعيتهم بثقافة العنف وسوداوية اليقين، وينحتون في العقول المتخثرة صورهم الباهتة وأصواتهم العاوية.

لو قلّبنا أوراق التاريخ نكتشف أن كل(طاغية)هو يتيم أو متشرد أو أبن زنا، شرب ويلات الزمن قبل أن تتناوشه أيدي تتربص به من مكان خفي، تنقله في لحظة حاسمة إلى رف الحياة، بعد سلسلة عمليات تغيرية، تمهد ضرورته كمخلّص ومنقذ لشعبه الذي أختاره أسياده من باب تقديم الإحسان، وإنقاذهم من براثن الغطرسة والفتك.

يمكننا أن نعلن أن كل طاغية هو مصغر لدولة صانعه، ولنا في حجتنا جملة أقوال لمشاهير أدلوا في كل محفل دلاء الحكمة.

يقول(أفلاطون):

((أن الطاغية منهمك دائماً في إشعال نار حروب جديدة، أنه بهذه الوسيلة فقط يستطيع إحياء شعور الناس بالحاجة إلى قائد مثله!))

ألا نجد في يومنا هذا أن(أمريكا)هي الدولة الوحيدة

التي لا تغمض لها عين، تمد عيونها صوب كل رقعة إستراتيجية حيوية بخزينها من أسواق تصريف أو طاقة مضمونة من وقود ومياه أو مكان يحادد كل عدو مستهدف أو مقلق للمستقبل.

لها مخالب تحفر لتفتعل أزمات سياسية قبل إنضاجها داخل فرن الأمم المتحدة طالما لديها مناصرين لسان حالهم ((لا حول ولا قوة إلاّ بالله)، فهي من تشعل نيران الحروب كما حصل في/يوغسلافيا والصومال وأفغانستان والعراق/وما تزال تفرش بسط الحرب تحت أقدام/كوريا الشمالية وإيران وسوريا/أو ما أطلقت عليهم بدول (محور الشر) مع توفير مناخات إعلامية تدفع مشاعر الناس نحو حاجتهم الماسة لهذه الدولة الماشية بقوة السلاح لا بقوة الأخلاق لتطبيق أحلام الديمقراطية والحرية والمساواة المزعومة.

هل ثمة فرق بين طاغية يشغل شعبه بحروب تدميرية تحت أبواق البطولة والمجد لترسيخ كيانه في العقول وبين دولة تفعل ذلك في وضح النهار؟

لا يذهب (أرسطو)بعيداً عن نظرية معلمه.. فهو يقول:

((أن سبب إشعال الحروب من قبل القادة، هو جعل الناس يشعرون بالحاجة إلى زعماء!))

واقع الحال يكشف لنا عمق هذه النظرية، نجد الجموع الهائجة كيف كانت تندفع كالثيران إلى

الشوارع وهي مشحونة بخطابات نيرانية تهدر بأصوات غاضبة وعيون عمياء لتفعيل الحماس وترصيص الأساس لكرسي(القائد المفدى).

لنعد لكلام الأمريكي الصريح(ديك شيني)بخصوص متطلبات الزمن الراهن من نوعية الرجل المؤهل لقيادة الشعوب المختارة، نجد أن ما يجري في (العراق) هو خير جواب، فتوزيع الأدوار على رهط رجالات لقيام ما قامت بها أفراد هي نظرية (أمريكاوية) بحتة، وهي وسيلة ليست بجديدة، لقد فعلتها ـ قريش ـ يوم اختارت من كل قبيلة واحداً كي يضيعوا دم (الرسول الكريم)(صلى الله عليه وسلّم) بين القبائل.

ها هو (العراقي) لا يعرف أية جهة صاحبة السيادة الأمنية، لا أحد يعترف أو ينفذ أوامر الأعلى منه، فكل جهة تنفذ ما يحلو لها دون وجود من يوقفه، وصار القانون لقمة سائغة تتناولها أسنان تكشر ومخالب لا ترحم، وصرنا نمتلك أفراداً لديهم من القسوة ما لم يبدها الطغاة السابقين.

لا يخفى مغزى هذه النظرية من لدن المواطن(العراقي)الذي خبر كل دروب السياسات ومتاهاتها جراء اكتوائه بنيران العوز والحرمان والغزو عبر العصور، فالتصادم بين الرموز هي توفير موجبات تواجد أصحاب النظريات الإصلاحية للشعوب المتداعية من جهة ومن جهة أخرى تضعيف

هذه الشعوب ونزف طاقاته ومقدراته ومحو إرثه وتوليد تنافرات وتناحرات الغرض منها إنهاض الخلافات العرقية والطائفية، الشفرة السريّة لعولمة العالم وتسييد الماسونية.

لقد تم تحويل القائد الضرورة إلى قادة ضرورة، يعملون متضادين علناً من باب اللامركزية دون أن يتصادموا فيما بينهم، إستثناء التلاسن والتراشق بالاتهامات كجزء من متطلبات الحرية المزعومة وهو فخ لإيهام الناس وترويضهم.

نراهم يمارسون سلطاتهم واسعة المدى ومن أبواب عدة والهدف واحد في نهاية المطاف.

هذا ما يذهب إليه (ألكسندر فيالات) في معرض تفسيره لما يجري في عالمنا المسكين:

[لقد أنقرض آكلو لحوم البشر على أرضنا هذه، لقد أكلهم آكلو لحوم البشر الإصلاحيين]

الاتفاقية الأمنية
بين مطرقة أميركا وسندان الفوضى

أين المهرب؟
في كل بقعة أرض
ثمة جب
ثمة مخلب
ثمة ذئب!

***

من الوراء..
أمواج سود واقفة، ظلام وبرق وخراب، بالونات جاهزة للعصف والقصف.
من الأمام..
مطرقة صاعدة نازلة، تهوي من شاهق الغطرسة لتيسير القافلة وفق المزاج ومتطلبات المرحلة.
ها هي الدولة التي جاءت كما زعمت لنصرة المظلومين وكنس الظالمين من الأرض، تعلن بجهر القول، أنها مستعدة لتعيد عجلة التاريخ الذي غيروا واجهته التعيسة بواجهة (منيفيستية) بائسة، من باب التهديد والوعيد طبعاً، هذا يعني أنهم قادرون لقوة

مكرهم وامتلاكهم زمام الأمور ومفاتيح أموال البلد على تبديل الحياة وفق ما يشتهون أو ما تقتضيه المرحلة الراهنة.

الحياة بالنسبة لهم رقعة شطرنج.

البلدان الفقيرة وأصحاب النفط مجرد بيادق، يوجهونها من غير عناء، طالما هناك من يرتضي الهوان ولديه الجرأة أن يغدو عصا خادمة بين أيديهم، ويمتلك كامل الاستعداد لضرب نفسه، أو البصق بوجه أبيه، لو أمروه بذلك.

هل من فكرة منقذة؟

هذا السؤال الأكثر إلحاحاً، في زمن غامض بات يلتهمنا وينقرض سريعاً، ولم يعد العقل يمتلك بصيص ضوء لإيجاد منافذ خلاص تعيد التوازن لنا ولو لبعض الوقت، طالما المستقبل ختم عليه من قبل قوى الظلام بـ(الشمع الأحمر)، وصار سلعة مباعة أو مضاعة في بورصة المراهنات السياسية العقيمة.

الأوان قد فات.

أحوج ما يحتاجون إليه وقفة حسّاسة، وقفة من غير إضاعة فرصة تفكير وهدر بادرة يقظة، لأن بندقية الغاصب مصوبة والفرضة والشعيرة على الهدف والسبّابة على الزناد، والعين لا تخطأ من هول قذارتها.

السياسة التي أتت بشتات وصنعت منهم بيادق تمشي بأزرار العم(سام)، ها هي تسحبهم في لحظة

مباغتة، قالبة الخطط المعلنة وغير المعلنة رأساً لعقب، تريد خطة جديدة، خطة جاءت من بعد صراع مرير، أرجأت الحلم المكشوف لأصحاب التغيير.

من حيث لا يشعرون بدأت(السياسة)بسحب البيادق إلى منصة السقوط، في وقت كانت البيادق تكافح من غير تبصير بمستقبل الأمور، أو كانت تتصيد في مياه عكرة كما يذهب القول الشائع، وفي خضم جدال (سفسطائي)غير نافع ونقاش مجتر من كل خير وتناحر عقيم طال أمده، كانت تصب لمصلحة الذات أكثر مما تصب في مصلحة العم(سام)، أو حتى في مصلحة ناس مدحورين في ظل سلطنتهم، جعلتهم حائرين خائرين أو(مزوهرين)كما يقول اللسان الشعبي.

ها هو الموت بدأ يزحف وهو متربص في كل(حارة وشارع)، وعليهم ستدور دائرة الدوائر.

لنوضح الأمور أكثر وبلغة شبه مفهومة، تلك الفئات المتسلحة تتربص من مكان قريب.

متواجدون فينا وقربنا ومتغلغلون إلى كل عصب داخل المرافق الحيوية من قيافة الدولة، يبتهلون أن تسير الأمور كما يريدون، كي يعيدوا التاريخ الذي كتبوه بالدم إلى واجهة الحياة.

هل كانت(أفغانستان)أشطر و(أشطن)منّا، عندما رممت البيت وتركت السيادة لمن أتت بهم، تركتهم

يواجهـون عصـيان الجبـال وتمـردات الطقـس وهـم يطاردون الأشباح ورجال ـ طالبان ـ .

يـا مـن جعلـتم مـن أنفسـكم قـرابين لصـناعة الحيـاة وتأثيـث بيتنـا المتهالـك، لقـد نسـيتم أنفسـكم ولـم تمـدوا أعينكم ولـو لمرة واحدة إلـى فوق رؤوسكم كـي تـروا العصا المتحفزة(للفلقة).

ها أنتم أمام خضوعين لا ثالث لهما.

كل خضـوع هو دمـار قـادم، وإعـادة عجلـة التـاريخ إلى الوراء، ن(ترفضوا) مطاليب(العم سام)يعني أنكم ستكتشفون أنفسكم مـن جديد واقفين علـى أبواب(أهل الإحسـان)ليهبوا لكـم مـأوى أو منفـى جديـد، لا تقولـوا كيف، فالورقة التي تم إشـهارها بوجـوهكم تـم تمريرهـا عبـر راديو(سـوا)، تلك التـي كانـت خافيـة علـى عيـون وعقـول الشـعب، واضـحة كالشـمس وربمـا تجهلـون عواقبهـا الوخيمـة، والـدلائل التـي مـرّت تشـير أن العواقب ليست ذات أهميـة بالنسبة لكم، طالمـا كانـت مصالحكم فوق الجميع، كل فئة كانت(تتعارك)من أجل الفئة التي تؤويه.

(البنـت آغـون أو الولـد آغـون)أعلن بـالحرف الصريح أنه سيقوم بما يلي:

1- تسريح (**200000**)مائتا ألف عراقي يشتغلون لـدى قـواتهم، هـذا يعنـي زيـادة البطالـة مـن جهـة وتوفير مناخـاً ملائمـاً للانتقام منهم من لدن الذين قالوا عنهم(جواسيس)والعهدة عليهم.

2- سيتم وقف المساعدات وقيمتها(**6000000000**)ستة مليارات من الدولارات، وهذا يعني اندحار كامل للاقتصاد، وربما مترتبات أخرى يعرفها المتخصصون بالمال والاقتصاد وأصحاب البورصات السريّة.

3- سيتم سحب الأسلحة الثقيلة ومن ضمنها(الهمرات العتيقة)من الجيش، هذا يعني تفليش(الجيش)وربما هروبهم الجماعي بعدما يفقدون عامل الحماية لهم، وتعود ظاهرة الميليشيات إلى الشوارع، والبدء بتقسيم فعلي للبلاد والعباد والتقاتل على فضلات الموارد المتبقية.

4- وقف حماية حدود(البلاد)من قبل طائراتهم، هذا يعني السماح لكل من هب ودب الدخول والخروج وإدخال ما يريد من وسائل تدمير، فتتوفر أرضية ممهدة للفئات الانتحارية لمسك زمام الأمور من جديد.

5- انسحاب قوّاتهم إلى قواعدها، تمهيد أولي لانسحاب كامل من(البلاد)، هذا يعني العودة للوراء بكل المقاييس والكلام مفهوم من غير الحاجة إلى توضيح.

وربما هناك وسائل إيذاء أخر غير معلنة، مثلاً تحرير (الموقوفين) في سجن(بوكا)ومن تحتجزهم الحكومة لمحاكمتهم، وربما لديهم ما هو مناسب

لخنق (الأزمة العراقية)بيد واحدة، مهيأ و(مقولب) وجاهز لإعادة الأمن للبلاد بمجرد ظهوره على الشاشة وقراءة خطاب واحد، من تلك الخطب المملة والتي تغلغلت وتعشعشت في الذات، سنجد الشعب متوحداً منسجماً ناسياً كل ما جرى، ناسياً عرقه وطائفته ومذهبه، يلوذ براية تمنحه الأمان ولا يهمه ماذا يأكل وأين يسكن، معاً يرقصون طرباً للحياة الجديدة، كل شيء ممكن في بلاد ما تزال لا تمتلك سياسة مقنعة، أو العقل الذي سيرضي العقول الأخر، أو عقول تأخذ من الرعية ما لديهم من أفكار وخطط من باب(المشورة).

ها هم طبعاً أمام (هاويتين)، الموافقة على ما تريد (أمريكا)في الاتفاقية الأمنية طويلة (المآسي)، يعني الخضوع التام لكل ما تفعل وستفعل في قوادم السنين، والرفض يعني البداية النهائية لـ(تفليش)البلاد، بعدما تنهار مقومات الأمن والدعم بكل أنواعه، مادياً معنوياً و(لوجستياً).

أليس من الحكمة أن تلجأ الحكومة إلى استفتاء عام للشعب حول خطورة الموقف.

أليس من الواجب قراءة ما تريد(أمريكا)على الناس وبيان رأيهم، كي يتفاعل الشعب ويبدي رأيه في ما يخصه أو يخص أجياله القادمة، رغم أنه يدرك أن الموت يمشي حوله أينما خطا خطوة واحدة، وبأية اتجاه!

ألـيس مـا يجـري يشـبه بمـا جـرى زمـن الظـلام المنحـل، فـ(السياسيون) ليسـوا ألسـنة الشـعب، ولـيس مــن حقهــم قيــادة الشــعب بمــا تهــوى أنفســهم أو مصالحهم الشخصيّة والحزبية والكياناتية، فهم جاءوا (أرقــام فــي قــوائم)، ولــم يحلّــوا عقــدة مــن العقــد المتراكمــة علــى طــاولاتهم، فقــط أفلحــوا مــن تمهيــد المبررات المقنعة لتفريغ البلاد من العقول وأصحاب المـال، وتمهيد طـرق معبـدة ومصـانة للبقـاء فـي سلّة الحكم.

فقــراءة ســريعة لمــا جــرى، كافيــة للحكــم علــى مستواهم السياسـي، حتـى أن الفشـل الـذي يواجهونـه كـل يـوم يبحثـون عـن سـلّة مهمـلات أو شـمّاعة كـي يلقــوه فيهــا أو يعلقونهــا عليهــا، ومــن جملــة تلــك الشمّاعات، شمّاعة (العراقيون) فـي المنـافي، وربمـا لا يعلـم الكثيـر أن الحكومـة توسـلت وتتوسـل مـن دوّل العالم (بطرد) كل (عراقي) وإجباره العودة كي يكتوي بالنار التي لا تنطفئ، لأن الذين ظلّوا في الداخل، ليس بوسعهم تحمل المزيد، ولم تعد تنفع فيهم الآلام لأنهم أدمنوهـا، أليس هـذا العمـل توزيعـاً عـادلاً (للمأسـاة العراقية) على الناس، أم أنني لم أهتد للصواب أتحدث شطط.

وعــود للموضــوع الــرئيس، موضــوع الأمــن والإستراتيجية الأمريكيـة المستقبلية، قشّـة طـارت فـي الهـواء وبـدأت تحـط فـي المكـان الـذي هـو نقطـة

ضعف(الخروف العراقي الدسم)، ليس أمام الحكومة سوى الرضوخ، وهذا إن حصل هم يتحملون مسؤولية النتائج، لأنهم نسوا أنفسهم وانشغلوا بعيداً عن رغبات الناس وتضحياتهم، وأن رفضوا عليهم عاقبة ما سيجري من بعدهم.

شرّان لا ثالث لهما.

كلاهما خطوتان قاتلتان.

الوقت ينقرض.

المهلة سيف باتر.

والله يكون في عون الحائرين!

يقول أحمد بن يوسف الكاتب:

[إذا لم تعض يد عدوك فقبلها]

فن النصر

بنيت الحياة على نقائض!

أو ما تسمى ثنائيات.

أو ثوابت متوازنة.

كل كفة تمتلك من الوسائل ما تساوي أو تدمر الكفة المجابهة، على إيقاع هذا الميزان المتأرجح ينزف الإنسان أحلامه ويصرف أوراق عمره في متاهات لا تنتهي.

وكما هو معروف أن العاقل من يتخذ من الحياة السابقة وعبرها طلاسم تؤمن سيره وتضمن تفوقه وتوفر له فرص المحافظة على كينونته.

فما بال ساستنا لا يكلفون أنفسهم ولو قليلاً من العناء لقراءة التأريخ الحافل بكل وسائل تحقيق المنجزات وعلى كافة الأصعدة، أو ـ بسبب ضيق وقتهم ـ اتخاذ أصحاب إطلاع واسع ولا نقول(خبراء حياة)أو رجال ثقافة كمستشارين، وهذا ليس بعيب طالما الملوك والرؤساء فعلوا من قبل ذلك كي يكونوا أكثر نفوذاً وأقرب إلى الجوانب الغامضة والبقع المهملة لبلدانهم، وربما إعطاء شعوبهم صوراً ناطقة إنهم(كلّي المعرفة)إن جاز التعبير.

أن الذي يجري في راهن وقتنا من ملابسات وخلط ربما بتعمد في أوراق العملية السياسية، قد تكون لها حلول حتمية، وقد لا تكون مكلفة كونها حلول جاءت في أزمان متفاوتة حصلت فيها خروقات فوق العادة وتم معالجة تلك المشكلات والتي تتشابه في كل عصر وفي كل مصر.

لنقرأ معاً حكاية امرأة انتبهت منتصف الليل أن

هنـــاك مـــن يقـــف بـــالقرب مـــن رأســـها وآخـــر يعالج(دولابهـــا) بحثـــاً عـــن شـــيء ثمـــين يســـرقانه، استخدمت المرأة دهاءها وتمكنت من التخلص من السارقين، لم تصرخ طلباً للنجدة، وربما استحضرت في ذهنها، أن الصراخ يجلب لها فيما بعد سوء الظن بها أو تلطيخ سمعتها بين نساء لا يجدن في بلدنا فسحة للحرية والعمل على دفع الحياة نحو الأمام، فما فعلته أنها أبكت طفلها الرضيع بقرصة مقصودة وبينما تهيأ الواقف على رأسها لمعالجة أية مبادرة منها..، قالت بصوت واثق:

((لا تبكِ يا بني دعني أساعد خاليك على السفر!))

تداعت الرغبة وتحول السارقان إلى أخوين.. قال أحدهما:

((يحرم بيتك علينا يا أخت!))

***

وليس ببعيد عن الذاكرة بن زائدة معن وقصته الشهيرة، يوم كانت العرب في الجاهلية تقتل الأسرى، جيء بعشرة أسرى إليه وأمر بدق أعناقهم، حضر العقل وتحرك عند أحكمهم، قال لـ بن زائدة:

((أتقتل أسراك وهم عطشى؟!))

أمر بسقيهم.. ولكن حكيم الأسرى كان مفتاح النصر بيمينه.. قال:

((أتقتل ضيوفك؟!))

فخلى سبيلهم.فتبين أن مكارم الأخلاق لا تترجل من

العقول حتى أوان القصاص عند العرب.

***

لنقرأ ما فعله (الصينيون) حين سئموا من عدوٍ حاصرهم، أرادوا النصر وأبعاد الشرور عن بلادهم كي يتفرغوا لصناعة الحياة، عملوا طائرة ورقية وحلقوها في الهواء يوم هبت الرياح بما اشتهوا، وحين قدروا المسافة بين الفريقين من خلال قياس طول الخيط، حفروا خندقاً وباغتوا أعداءهم من خلفهم وصنعوا نصرهم بجهد أقل وتضحيات تكاد لا تذكر، ودخلوا التأريخ كمكتشفين لأوّل تحليق ورقي ونصر غير مكلف.

***

لقد أحتال الملعون بالله وملائكته والناس أجمعين (إبليس) من أجل تحقيق (الإغواء) أقذر الأهداف قاطبة للوجود، هو النيل من عدوه بعدما سجدت له الملائكة وكُرِم إلاّ هو(أبى وأستكبر) وصار عرّاب الملعونين.

***

وما بال قائد (إنكليزي) في الشمال الأفريقي أمر بجلب أسير من (الألمان) فتّش ملابسه الداخلية وعرف من خلال قذارة بدنه أن عدوه لهالك وساعة الحسم قد أزفت، عرف أن جنودهم جوعى وعطشى، وليس لديهم ما يدفعهم للمقاومة، قاد حملته بعد

طويل صبر وحقق النصر.

***

ليس من البطولة أن تجابه عدوك السيف بالسيف، لقد انتهى زمان(هل من مبارز؟)، بتنا في زمن تداخلت فيها الأشياء، وصار العلم سيد الموقف، واللسان حقاً ثبت أنه يخرج (الحيّة من الزاغور)، انفتقت الأذهان وزادت كميّة المكر والخديعة وباتت المصالح الكبرى تتطلب مزيداً من الحكمة والصبر لمعالجتها، كون الحروب كانت في البراري وخارج أسوار المدن والقلاع، أما حروب اليوم لا تستهدف الإنسان مباشرة بل تبغي وسائل بقاءه حياً، كي يكون التدمير أشمل وأسرع بعدما زادت البشرية بشكل مهول.

ليس أمام حكومتنا سوى اللجوء إلى وسائل العقل لمجابهة وسائل الجهل، هل ينبغي إشهار سلاح بوجه طفل حمل سلاحاً محشواً ومهيئاً للشروع، أم إنَّ القضية تتطلب ـ مهما أستغرق الوقت ـ أن نصل إليه بحكمة ومن غير عناد، قبل أن يرتبك ويضغط على الزناد ونغرق في دوامة الأسف.

لم نحشد الشباب المسلحين في الشوارع ونعطيهم أهدافاً سهلة الصيد، من باب فرض الأمن، أليس من الواجب البدء بسور البلاد المهشم والمسالك غير الشرعية للدخول إلى المدن.

لم لا نقوّي السياج كي تبقى حدائقنا منيعة ضد

الطـارئين والعـابثين، وبالتـالي نكـون قـد أوقفنـا سـيول المجاري القادمة ألينا وتم قطـع دابـر كل مـا هو يـؤذي ويفتك بالناس.

فالنصـر لا يـأتي مـن فـراغ ولا البسـالة الهوجـاء حـررت الأمـم من نيـر العبودية، و((كم من فئـة قليلـة غلبت فئة كثيرة بـإذن الله))، لقد أنتصـر المسلمون فـي معاركهم وفتوحاتهم بقلـة المؤن والجند، استندوا علـى اليقين والصبر والعقيدة والعقل والحكمة والمشورة.

***

ألـم ينتصـر (طـارق بـن زيـاد) بمجـرد حـرق السفن الحربية التي عبر بها البحر، لقد كانـت رسـالتين لجنده وعدوه، أراد من خلاله، أن يعبر لهم، أننـا جئنـا لنبقـى مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى، قطـع دابـر كـل وسـيلة للهروب أو التفكير بما تركوه وراءهم.

***

فـي معركـة (الخنـدق) ألـم يـتمكن ذلـك الفتى(علياً) (رض)مـن كسـر شـوكة أعـداء الإسـلام بقتلـه(عمر بـن ود العامري)الـذي كـان يسـاوي ألـف فـارس فـي حومـة الميـدان، أحـتكم لعقلـه وصـرعه فـي تلـك الواقعـة الشـهيرة، بالصـبر والعقـل والـدهاء المـدروس، لأن الحرب خدعة ومكيدة.

***

يمكننـا أن نصـل إلـى الحلـم المـؤرق للبشـرية، حلـم

النصر على الظلام وبسط النور كي يمشي الإنسان مرفوع الرأس وينعم بالخير الصالح.

في التأريخ مواقف صارت أساسيات لصناعة الحياة، صنعتها عقول أوان الأزمات والمواقف الحرجة، قد نحتاج لشهر بغية عبور نهر، المهم هو أن تأتي ثمرة الكفاح والتضحية، نتيجة حتمية ونهائية حاسمة كي نحتفل بما جنينا، لا أن تتبعها محاولات جديدة وخطط تتبع سابقاتها تحت مسميات جذّابة غير مقنعة على حساب أرواح وقوت الناس.

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه:

((أن تنصروا الله ينصركم فلا غالب لكم))

من سيربح العراق

مساء كل ثلاثاء يطل علينا(جورج قرداحي)على شبكة الـ(mbc1)بابتسامته العريضة وهو يختبر من يحالفه الحظ من أبناء هذا الوطن الكبير جسماً والمحدود اسماً ورسماً على خارطة السياسة العالمية إقليمياً ودولياً، كي يمنحه شيكاً ينقذه من عوز الدنيا إن تجاوز أسئلة معظمها أحجية سهلة لا تحتاج إلى سعة معرفة وإطلاع، بل يكون الحظ هو الفيصل في معظمها طالما الحكم فيها إلى اختيارات.

خمسة عشر سؤالاً أو حاجزاً هو الطريق إلى(المليون)رغم أن المبلغ النهائي للجائزة هو مليونين، مع وجود وسائل مساعدة تصل إلى أربع وسائل عون.

لست بصدد أن أمضي أكثر من هذا سوى وجود تماثل حيوي ومدهش بين الذي يحدث في(عراقنا)الحبيب وبين برنامج ـ ضرب ـ الريالات.

بلدنا بات برنامجاً لاختبارات وصراعات تتكاتف شتى الوسائل من أجل الفوز أو العبث به، فما يجري على أرض الواقع من أهداف منتخبة محصورة

بين(الفرضة والشعيرة)ربما يقترب إلى حدٍ مذهل من عدد أسئلة برنامج(المليونين)، ليس ذلك فحسب بل حتى عدد الوسائل المساعدة لعبور المحن وتجاوزات الظروف القاسية المعرقلة لتكملة مشوار الحياة البائسة.

لنحص معاً عدد المطلوبين على القائمة السوداء من قبل الطامعين لنهش كعكة(العراق)، يعجز العقل بيان خيط ضوء يمكن أن يفضي إلى مسلك قد يجد فيه درب خلاص، ما الذي يتبقى في البيدر ـ لا قدر الله ـ أن أفلح الجانب المظلم من تحقيق غايته وهل وضع في باله بعد إزاحة أو عبور هذه الحواجز(من سيربح العراق).

فهو يرغب عبور..

1- حاجز رجال الحرس الوطني.

2- حاجز رجال الشرطة والطوارئ.

3- حاجز أساتذة الجامعات والعلماء.

4- حاجز الأطباء والمهندسون.

5- حاجز رجال الأعلام والصحفيون.

6- حاجز أعضاء المجلس البلدي ومجلس المحافظة.

7- حاجز التجّار.

8- حاجز الرموز الدينية.

9- حاجز الكوادر الفنية.

10- حاجز رؤساء الكيانات السياسية.

11- حاجز الحلاّقون تحت ذرائع تحليق رؤوس مسميات لا تعجبهم.
12- حاجز الخبّازون لأنهم يبيعون الخبز لفئات أمنية من البلد.
13- حاجز أصحاب المطاعم لأن فلان وعلان تناول وجبة غداء عندهم.
14- حاجز رؤساء العشائر.
ربما الفقرة الأخيرة والحاسمة لصحرنة الحياة وتفريغها من عنادلها الوديعة هي:
15- الحاجز العشوائي واللامبرر للأبرياء، تلاميذ وأصحاب (بسطيات) وسوّاق مركبات وفتيات ومتبضعون.
خمسة عشر(هدف)هي مكونات شجرة المجتمع لكل بلد.

لا ننسى الوسائل المساعدة الأربع لكل فرد، تلك الوسائل المعينة في ظل قحط يسود وفوضى لا تخمد..
1-(الوقود)كونه وسيلة تدفع شرور برد الشتاء وتدفع المركبات لترقص الحياة وتحتفل كل يوم، تعين أوان طهو الطعام حين تبرز شحة في الغاز السائل، تجعل الحقول تغني بالخضرة على أيدي الفلاحين، صار الوقود هدفاً مغرياً وورقة مهمة في اللعبة الجارية لوقف الحياة.
2-(الماء)كونه وسيلة تطهير ووسيلة النماء وأساس كل شيء حي، تم نسف عصبه لمنع ضخ

الروح إلى المنازل.

3-(الكهرباء)كونها وسيلة التحضر، سراج النور ومصدر طاقة للرزق وللعراقيين مآرب لا تنتهي مع هذه الوسيلة.

4-(الحصة التموينية)كونها وسيلة الوسائل، العصب الحيوي والعمود الفقري لسلة غذاء كل عائلة، بدونها تبدو البلاد غابة عجفاء، أنها وسيلة خادمة لعبور ألغام الجوع ومكر التجّار الفجّار.

كل شيء مطلوب إقصاءه خارج الواقع كي يخلو البلاد من العباد وطاقاته، لنفترض حسابياً أن الأهداف ـ لا سامح الله ـ سقطت ووسائل المساعدة نفدت.

ما الذي يحدث، بلاد خالية، تنعب فيها الغربان والكواسر، بلاد ستأكل فيها الوحوش بعضها البعض.

لنفترض أن ذلك سيحصل، فـ(من سيربح العراق)إذاً؟

اليقين لا يقر بذلك طبعاً، اليقين(العراقي)شامخ وراسخ ، فـ(العراق) بلاد خصّها الله بنهرين خالدين، منذ الأزل وحتى الأبد يمشيان الهوينى رغم أنف السدود والحدود، دس الله في عروقها ذهب أسود لا ينضب، فيها أضرحة أنبياء وأولياء، فيها تلاوين ناس يعرفون حدود ثقافاتهم، اتكأت على بنيان حضارة توغلت إلى تشعبات العلوم الإنسانية على

وجه البسيطة، حظاها الله بأحد عجائب الدنيا السبع، بالخير الذي دفع أشرار التاريخ الزحف على البطون طمعاً لها وفيها، هي الأرض الوسط، أرض أربعة أنبياء أعمدة الخالق لعبيده،

أرض ستشيد عاصمة الخلافة الإسلامية الكبرى قبل أن ينفخ (إسرافيل) بوق انتهاء وتخليص الأتقياء من العذاب الدنيوي لأبالسة البشر.

تلهج الألسنة وتنطق العيون وترتفع الأيدي:

((لن يرضخ العراق مطلقا))

هكذا يصرخ التاريخ منذ الأزل، البلاد سفينة عملاقة تحمل نفائس الدنيا من كنوز وعلوم معرفية وموارد طبيعية وطاقات بشرية، سفينة لا تصالح كل قبطان يشهر قواميس معرفته ويعلن على الملأ جاهزيته لقيادة دفتها إلى بر الأمان.

مهما صار وحدث وسيحدث، سيشهد العالم كيف ستنطفئ نيران الذات ويرتاح المحاربون تحت فيء شجرة الحكمة، وكيف يذرفون دموعهم ويضمدون جراحاتهم ويبكون مفقوديهم.

***

لنقلب صفحات كتاب التاريخ الدامي، ما الذي نرى، غزاة قساة زحفوا، فعلوا ما فعلوا من قطع أعناق وأرزاق وحرق كتب وتدمير معالم عمرانية، صالوا في عرض البلاد وجالوا، رغم ضرباتهم الموجعة، كانت نهاياتهم الهاوية وبلادنا ما تزال هي الباقية،

بعدما كنستهم ريح التوحد العاتية.
مهما حصل وسيحصل..
ليس من يربح العراق إلاّ أهله.
يقول فولتير:
[عندما يفكر الشعب مرّة من المستحيل أن يقف]

إلى ذلك نسترعي الانتباه

يبـدو أن - الفلتـان - الأمنـي الـذي عصـف ببلادنـا

تحت مسوغات شتى قد لا تكون مقبولة أو مقنعة إلى حدٍ ما، إذا ما تم تسويغه وتسويقه تحت يافطة ما حصل من تغير جوهري وبشكل مفاجئ في المعايير السياسية، من شاهق الدكتاتورية إلى أعالي الانفتاح الديمقراطي التام.

من خلال قراءة قانونية محايدة، نكتشف أن الفئات التي قامت بفعل التغيير لم تضع في الحسبان جملة أمور هي من صغائر الأفكار بمكان إن جاز التعبير، أمور صغيرة في معايير العقلانية وفلسفة سياسة عصر انهيار المبادئ وشرخ جغرافية الدول المتكونة من أمم متحدة إلى دويلات يائسة عليلة، تحت عباءة حرية الفرد وتطبيق قوانين مؤسسات المجتمع المدني، وربما توفر فرصة حاسمة لاستئصال مفردة الثورية من قاموس العصر للبلدان التي ما تزال هاجعة تحت نير الدول النامية أو بلدان العالم الثالث، أو تلك التي ما تزال تمشي وتتمسك بوصايا السلف الصالح.

فرحة زوال النظام السابق بسرعة البرق أنساهم تطبيق ما عزموا عليه أو خططوا من إجراءات وقائية تقي النظام السياسي الذي أتوا به، وقد غاب عن أذهانهم أن أوّل المبادرين لاستقبالهم لابد أن تكون فئات متقنعة بالانتهازية والنفعية تمتلك الكثير من وسائل فكرية تخترق وتقنع أوان الأزمات، ولديها ممكنات مادية ادخرتها جراء خدماتها العالية قبل

جائحة التغيير، وهي من دون شك تمتلك ثقافة استغلال مجربة تنفع أوان التغيمَّات والرعود العابرة.

كثر من الرموز السابقة تأهل ليكون متواجداً بين الجمع الجديد، في ذواتهم غايات قد تكون أفضحها تحقيق خرق ممكن، وتأسيس أرضية لانطلاقات قادمة حين تتوفر المناخات الملائمة خصوصاً أن التنافس سيظل إلى وقت ما محموماً من أجل احتواء العديد من المكاسب الفردية على حساب مكاسب الناس، هؤلاء وجدوا رحابة صدر القادمين فرصة يمكن استثمارها لصالحهم الخاص، فيما بعد صاروا جسور آمنة ومتينة لمرور أصحاب الأغراض المضادة لفعل التغيير.

لقد تم رصد الكثير من حالات تسلل أصحاب النفوس الضعيفة إلى المرافق الحيوية للبلد جراء طغيان اللانزاهة والفساد الإداري المستشري في جسد البلاد، تحديداً المؤسسات الأمنية، كالدفاع والداخلية وحراس المنشآت وحتى أعضاء في المجالس المحلية والبلدية، صاروا يعرفون كل سر من مكان قريب قبل تهريبه عبر(الموبايل)للفئات المتربصة لوقف الحياة وتدوير عجلاتها باتجاه الوراء.

وجراء ما حصل من خرق، خسرنا ما خسرنا من بشر وما زلنا ندفع التضحيات جراء السماح لكل من هب ودب أن يكون في أمكنة حساسة بيدها مقاليد

رقـــاب لا أمـــور النـــاس، علـــى ســـبيل المثـــال لا الحصـــر(لجان التعينـــات) بعـــض مـــن هـــؤلاء كـــانوا بـــالأمس القريـــب يعبثـــون بشـــعب غنـــي بثرواتـــه وحضارته لكنه بات فقيراً لا حول له ولا إرادة، هذا البعض منهم، لهم تواريخ مؤسفة ومواقف غير نبيلة، كيف بوسعهم أن يبدلوا ما بداخلهم من تراكمات سلبية ومن ورائهم تقف فئات مهزومة.

ترى كيف وقفت الكيانات السياسية مكتوفة اليدين أمام ما تنشره الصحف من تلك الأخطاء الفادحة، ولم تقم بمبادرة مشتركة لتصحيح ما حصل جراء تسارع أو زيادة ثقة مهدت لتلك الأزلام أن تكون محرّكة للجو، أليس من الحكمة أن تمنح الفرص لمن يختبر ويؤهل من قبل المجتمع قبل أن يتم اختياره من قبل جالسين في أبراج عاجية لا ترى أو تعرف ما الذي يجري في البلاد إلاّ عبر باقة فضائيات فقط.

ما بوسعي سرد بعض وقائع حدثت في أمكنة صغيرة من البلاد، بعيداً عن التشخيصات والمسميات وأظن ما يماثلها من حوادث حصلت وتحصل كل ساعة في وضح النهار لا تحصى على رقعة (العراق) المتآكل.

**كيف يفسر القانون العراقي الجديد حالة هجوم على سيطرة في صباح باكر، يتم قتل ستة أفراد وترك واحد، هذا الواحد هو من غير قومية الضحايا للعلم والإطلاع، بل من قومية القاتلين، زد على ذلك كان

مـن عشـيرة المنفـذين، تـرك السـيطرة وذهـب ليخبـر أن(المقاومـة) هكذا سمّاهم، عفوا عنـه دون أن يعرف هـو السـبب أيضـاً، لـم يسـجن هـذا الواحـد المنفلـت مـن فوهـات البنـادق، تـم تـدوين أقوالـه فـي مهـب الـريح ونقله من تلك النقطة التفتيشية الحساسة.

***

كيـف يفسـر القـانون العراقـي الجديـد مقتـل ثمانيـة أفراد كانت تقلهم مركبة، ثمانية فتية آمنوا بما حصل فنـذروا أنفسـهم لحمايـة البلـد، كـانوا فـي طـريقهم للتطوع إلـى الحـرس الـوطني الجديد، كلهم من قوميـة واحـدة، إلاّ السـائق كـان مـن قوميـة تخـالف قـوميتهم، ذبحـوا الثمانيـة وتركـوا السـائق حيـاً يـرزق، دوّنـوا أقوالـه علـى أنـه فقـد سـيارته فـي تلـك الصـولة، لكـن الأيـام دائمـاً تـأتي بمـا لـم تـزود أو تخفـي النفـوس الضـعيفة، هـا هـو يركـب سـيارته، وحسـب زعمـه أنـه وجدها بعد جهد مضنٍ وسؤالٍ لحوح.

***

كيـف يفسـر القـانون العراقـي الجديـد مقتـل شـبّان ثلاثـة، كـانوا فـي طـريقم لتبـديل العملـة كـونهم يعملـون صـيارفة، قتلـوهم وتركـوا رابعهـم دون أن يمسـوه بسـوء، بعـدما نقلـوا مـا معهـم مـن أكيـاس النقـود، هـذا النـاجي دوّن مـا شـاء مـن أقـوال مفبركـة وعـاد إلـى مهنته السابقة.

***

كيف يفسر القانون العراقي الجديد حالة اختطاف شقيق مسؤول أمني كبير في النظام السابق، هذا المسؤول سد الباب بوجوه المسؤولين الجدد الذين ما زالوا يقيمون كل اعتبار وأجل احترام لمثل تلك الفئة المهزومة، أرادوا تقديم خدماتهم وصلاحياتهم المفتوحة له أو يشاطروه الحزن على أقل تقدير، المسؤول السابق، بنفوذ شخصيته القديمة أغلق خطوط هواتفه الأرضية والخلوية، وأنفرد ليحل المشكلة بمفرده، ومع أطلال الصباح الباكر، عاد الشقيق معززاً مكرماً، من مكان اختطافه، ذلك المكان ـ مكان اختطاف شقيقه ـ كان في العهد السابق تحت سيادته وأمرته.

***

كيف يفسر القانون العراقي الجديد حادثة قريبة جداً، مقتل عشرون شاباً، أردوهم رمياً بالرصاص كونهم طلاب وكسبة، لكنهم تركوا واحداً من بينهم، لم يمسوه بسوء، هذا ما رواه الناجي الذي نجا بعدما ظنّوا كل الظن أنهم دفنوهم في العراء، ذلك الواحد تركوه لأنه كما سمع الناجي يسرد نضاله القديم والجديد والطويل في البلد قديماً وما يزال داعماً من وراء الستر لفئتهم.

***

حالات لا تحتاج إلى مسوغات قانونية والكثير من التفاسير لفك الألغاز الواضحة، لابد من التوقف قليلاً والانتباه بكثير من اليقظة لما يجري، إذ ليس من

المعقـول أن يقـوم قاتـل متـربص بـالجرم المشـهود يسـتهدف عشـوائياً كـل مـن يمشـي علـى أثنـين بغيـة إشاعة الفوضى لا غير، قتل جمع أناس وترك فرداً، ما لم يكن هناك سابق تعاون أو معرفة أو غاية غير مستورة.

ألـم يـئن الأوان لدراسـة وتقيم المسؤوليات المناطـة لـبعض المسـؤولين بعجالـة لمعرفـة درجـة نـزاهتهم ونصـاعة ماضـيهم ونقـاوة ولاءهـم للشـعب والـوطن ولسياسة البلد أيضاً، كـي نـتمكن من غير طويل وقت وبذخ مزيداً من المال العام لمسك رأس كل خيط يقود إلى مؤسسة الخراب.

يقول سقراط:

((أعرف نفسك))

غريب الدار

كلمـا يتقـدم العلـم والعـالم خطـوة، نتوسـم أن فرصـاً مثاليـة تتـوفر لنـا لنشـارك الحيـاة انفجارهـا، كـي نفيـدها ونستفيد منهـا كحـق مشـروع ومتكـافئ مـا بـين الـزمن وبشره.

لكن الذي يجري وبشكل ساخر أننا نمشـي بـالمقلوب

أو على عناد من يرضى أو يرفض، نمضي خلاف ما يمضون.

كيف نفسر شيوع نقائض بيننا من غير محاولة رادعة ولو تثقيفية من على شاشة فضائية غير مكلفة لتحريك الوعي المشتت للناس لوقف نمو تلك الدمامل السرطانية الفتاكة، بين عشية ليلة وضحاها اكتشفنا أنفسنا غرباء في بلدنا، أينما نمضي، يطل وجه فقد(عراقيته) بلمح البصر وتبخر ذكاؤه الفطري ونسى شيمته العشائرية الحميدة:

((مين جاي وين رايح وشعندك هنا؟))

سؤال شاع في كل سيطرة، في كل سوق وزقاق، يصعب تحديد إجابة محددة أو مقنعة له، فالجواب قد يشفع وينقذ في مكان ما، لكن ذات الجواب يغدو زلة لسان يسوق إلى جب بلا قرار في مكان آخر، وقد لا يفصل بين المكانين سوى بضع مئات من الأمتار.

هناك من يرضى بالجواب ولو على مضض، كونه غير راضٍ بما كلفوه أو ألقوا على عاتقه من واجبات لا تمت لمهنته بصلة، وقد يكون مقتنعاً أن تلك المهام لا تفي بالغرض أو تحقق شيئاً من ثمرات الفكر الأمني المطروح، ربما تجد من يشكك بجواب المجيب، يطلب هويته الملغاة رغم أنف دائرة الأحوال الشخصية غير المنحلة.

باتت الزيارات بين الأهل والخلان في خبر كان، إذ ليس بوسع امرئ أن يذهب من ناحية لناحية للتبضع

مـثلاً أو متابعـة الروتينيـات الجديدة/القديمـة لتيسـير المعـاملات فـي دوائـر نامـت نزاهتهـا أو تجـردت مـن أخلاقية المهنة أو ضمير(الواجب الوطني).

فـالقوانين الأمنيـة تختلـف بـل تتضـارب وتصـل إلـى مشاحنات وسحب بنادق ورشق رصاص ولكم بالأيدي بين فئة أمنية وأخرى داخل محطات الوقود وساحات الغـاز السـائل وأمـام وداخـل المصـارف الحكوميـة والأهليـة والـدوائر النفعيـة كـدوائر النفـوس والأحـوال المدنيـة والجـوازات والشـهادة الجنسـية وإجـازات السـوق والبلـديات، علمـاً وإطلاعـاً تلـك الفئـات المتخاصـمة تحمـي شرعاً بلدة واحدة يقطنون شارعاً واحداً لا تفصـل بـين بناياتهم سـوى جـدران متآكلـة أو تم إزاحة ممرات العبور فيه.

مـن شـبر لشـبر يرتبـك القـانون ويتعثـر خجـلاً فاقداً هيبتـه علـى أيدي عـابثين، يجد نفسـه(مهاناً)أو عرضـة لسـيل سـباب مـن ألسـنة مـا تـزال تسـبّح وتبسـمل وتحوقل، وقلوب ما تزال تخشع رغم فقدان الكثير من جـادات الإيمـان بسـبب الشـرخ الـذي راح يوسـع فجـوة المذاهب المكملة لقيافة الدين الحنيف.

كل فئة تلعب بالقانون الأمنـي وفق مـا تشـتهي أو مـا يحقق لها علو كعبها، كل سيطرة لها وجهات نظر فـي منظورهـا سـتحل مشـكلات البلـد، وتخلّـص العبـاد مـن مخالـب التقتيـل والتشـريد، وكـل عـابر سـبيل أو طالـب رزق أو لاهث بحثـاً عـن عـلاج فعّـال لمـريض أقضـى

مضجعه، صار غريباً عن داره، وكل من هو ليس من البلدة ـ شاء أم أبى ـ من قبل الجهات الأمنية للبلدة وحاملو أسلحة حمايتها ووصايتها يدخل ضمن قوائم المطلوبين، يصادر ويستجوب ويعذب وربما يأكل قسطاً حافلاً بالإهانات داخل زنزانة منسية تحت بناية سريّة وفي الكثير من الأحايين يصفى جسدياً بعدما يستنزف ذويه مادياً ويرمى للخلاء.

أوّل ما يتبادر إلى ذهن مستوقف الزائر أنّه جاء ليرهب الناس بكل الوسائل الشائعة، هذه الإجراءات غير المحسوبة والارتجالية دفعت الناس أن تتجنب كل ما هو يمت للخصال (العراقية) النبيلة بصلة من أخلاقيات وصفات نبيلة توارثها عن الأجداد وفرضها الله في شرعه.

معاودة المرضى وزيارة الأقرباء والأصدقاء وحب قضاء فصل الصيف في أمكنة تتسم بالهدوء أو فيها أمكنة استجمام، صرنا غرباء الدار، وصرنا ننظر إلى الوجوه الأليفة كما لو أنها تخفي ما هو منافي لكل الصفات الإنسانية المتوارثة، بل صارت ذاكرتنا رغماً عنّا خالية من الذكريات وما حفظت من وجوه رغم سنوات الغليان ظلّت حاضرة أبداً، لكنها بدأت تغادر من غير حول منا ولا قدرة على وقف نزيف الوصايا فينا، شيئاً فشيئاً بدأنا ننسى بعضنا ونفقد صلة القربى ونزيح من قواميس تراثنا أسفار المحبة وفعل الخير والبحث عن الرزق في أرض الله الواسعة، خوفاً من

مشـروعية الشـبهات، والملاحقـات مـن قبـل أنفـار تؤسس لثقافة التفكيك، من غير علم أو دراية طبعاً، كونـه حمّـل أمانـة أكبـر مـن حجمـه وكلّـف بواجـب حساس يحتاج إلى تثقيف وتعليم قبل البدء بتنفيذه.

يقول فولتير:

[عندما يتولى الشعب الحكم كل شيء يضيع]

صبر العراقي أيّوبي

ما الذي يجري في(عراقنا) الماشي بقوة الأخلاق لا بقـوة تواجـد العسـكر القـادم مـن وراء البحـار والمحيطات، مذ ترجلت (بغداد) عن صهوة حصان التاريخ على أيدي صعاليك منحتهم الحياة فرصاً لا لتمجيدهم أو تخليدهم بل لبيان انحطاطهم الأخلاقي.

في كل ساعة أو يوم مناصب تأتي ومناصب ترحل وتطفو على سطح الواقع المر أمراض بلا عقاقير.

أرهط تتناحر على أعصاب الإنسان (العراقي) وتفرش وعود من عسل ولأن (العراقي) صبور وخاض ملمات الحياة وناء كاهله بأعباء ما مرت بها

الأمم السالفة يمنح دائماً فرصاً أكثر لمن يرفع عقيرته ويجهر بصوته على أنه خادم له، ينشر ما يحلو له من حلويات ومقبلات ومخللات تسيل لها لعاب الضعفاء ومن قذفته الأصلاب بلا حول ولا قوة، سرعان ما يندفن ما مضى من كلام ووعود لأن الراهن لا يشبه في خيال الساسة الجدد ما كان بالأمس.

غالباً ما يتركون ـ بعد رحيلهم ـ فقاقيع مدفونة يعمل القادمون الجدد في بداية تسلمهم مقاليد البلاد ورقاب الشعب بحفريات لتلميع وجوههم لأن السابقين كانوا على درجة متوترة من النزاهة وشحنة عالية من البلاهة والفساد.

كل رهط له طرق وأساليب ماكرة في ذاكرته المعبأة بالآمال متناسياً أو ربما هو يدرك أن الكلام مجرد نثر رذاذ(العطسات)في الريح، ويغيب عن باله أن عيون الشعب لا ترحم رغم سكوت ألسنته.

بتنا نشم رائحة فساد وتلاعب بالأموال بوسائل شيطانية لا يتم فك مغاليق أسرارها بيسر ما لم يستعان بخبرات محققين دوليين مثلما يحدث في برنامج (النفط مقابل الغذاء) وأهزوجة (الكوبونات) وما يجري اليوم أيضاً من جهود دولية للكشف عن قتلة (الحريري رفيق).

لجان تسرق رواتب الموظفين ـ زملاءهم ـ ويتم تثبيت محضر وبلاغ ورقي متفق عليه بالإجماع

وإلقاء الجريمة على عاتق مجهولين مسلحين - في وضح النهار - يستولون على الملايين ويهربون إلى جهة يقولون عنها مجهولة بل هي معلومة للناس.

لقد تم الإعلان عن تبديل المليارات المزورة بالعملة الجديدة وتم استدعاء بعض مسئولي المصارف واستبشرنا خيراً بأن السلطة ساهرة ويدها بتّارة لكل يد تمتد نحو أموال الشعب الذي صمد حتى الموت ولم يتنازل عن (عراقيته)، لكن الذي حصل تم السكوت على ما جرى وصرنا ننظر بعيون دامعة وقلوب حزينة إلى أغنياء جدد مهد قرار الحكومة لهم الدرب، قرار - نظيف لا غبار عليه - كثيرون تهامسوا أنه مقصود لا مدروس، كجزء من متطلبات غسيل الأموال.

تمضي كوكبة مسؤولين وتأتي أخرى، ويتم التراشق من على الفضائيات والصحف حول الكشف عن وجود فساد أداري ونقص في الأموال أو تم تصريفها بطرق غير شرعية، كأن يتم أجراء عقود وهمية أو باتفاق مع جهات خارجية أو حساب مواد رديئة لشركات بحساب ما هو عالي الجودة، على أن يتم دفن الفائض من الأموال في مصارف خاصة كون السيد المسؤول هو (مؤقت) جاء لتصريف الأعمال وليس له مكان داخل البلد بعد سحب (كرسي الإدارة) من تحته كونه مُنَصَبْ لا منتخب يغادر البلاد الذي جعلته مليونيراً إن لم نقل ملياردیراً تحت ذريعة إنَّ

هنـاك أيـدي عابثـة تحمـل السـلاح وتبحـث عـن كـل مسؤول تسنم منصباً في سيادة الدولة الديمقراطية.

ما بال آلاف الأسماء الوهمية والتي تم تدوينها في محافل حيوية كالدفاع والبلديات ورجال الحماية، تم صرف رواتب من دم (العراقي) لتذهب لجيوب عفنة.

مواد غذائية تدفع أقيامها ولكنها لم تصل ودائماً الماكر يهيئ تبريرات مقنعة كون الوضع الراهن بيد الأشباح والأشباح مشغولون برسم أو نحت ملامحهم في ذاكرة الزمن وعقول الرعية.

تأتينا أخبار حول قيام مسلحين بحرق السكر والرز والشاي.

ما بال الأسماء التي عادت إلى الوظائف من باب فتحته الحكومة أعني (السياسيون والمتضررون).. كم من متسلل تسلل من هذا الباب الهش لضعف الحارس أو ربما كان ممن ـ يعشعش ـ في ذاته بقايا رماد سيده الذي ترك العباد والبلاد بيد زبانيته، هذا المتسلل مر من ثلاثة طرق لا رابعة لهما.

طريق (التوريق)

طريق (العرف)

طريق (التزوير)

وراح الموظف الجديد يصب مكره بدلاً عن طيبته في خدمة الحرية وهو بطبيعة الحال يفتخر كونه يحمل ـ صك غفران ـ أو شهادة عالية مزورة، صكتها أيدي قذرة في(سوق مريدي).

ومـن يـدري فـي قـوادم الأيـام نـراه يفـوز(بهبر)من بـاب جديـد، بـاب تعـويض منكـوبي سـنوات الألـم وهـو قرار محبوك قيد التنفيذ.

يــا تــرى مــن يفســر لنــا لغــز السياســة العراقيــة المتدحرجة؟

من يجب على هذا السؤال:

((إلـى متـى يـدوم هـذا الصـبر الأيـوبي داخـل الـذات العراقية النبيلة))

يقول فولتير:

[لقد قضى المدفع على النظام الإقطـاعي، وسيقضـي القلم والحبر على النظام الاجتماعي الحديث]

حتى أنت يا جمعة

شاعت طرفة في زمن ليس ببعيد أن حلاّقاً وضع على باب محله(الثلاثاء جمعتنا)، حدث ذلك في زمن كان لكل مهنة قدسيتها، وكان يوم (الثلاثاء) عطلة للحلاقين آنذاك، ويوم (الاثنين) تم تخصيصه للمصورين.

بطبيعة الحال كنّا نضحك لتلك الطرفة ولا نعرف مدى صحة الحكاية من درجة تلفيقها.

تمر الأيام وتطفو على سطحها كل ما هو ينافي ما تعلمناه أو ما وجدناه قانوناً أخلاقياً نتوارثها ابناً عن أب وأباً عن جد.

واليوم بدأت المنافيات تشغل حيزاً من الحقائق، بل راحت تزيح الثوابت الثمينة من كتاب حياتنا.

كنّا نمتلك يوم (الجمعة)كعيد مصغر، فيه نستريح من عناء أيامٍ(ستة) مضنية مضت كما أرادت أن تمضي رغماً عنّا.

فيه نغيّر لون غدائنا، نستحم كما كنّا نفعل ليلة العيدين، نقلّم أظفارنا، نتطيب بالعطر الفوّاح، نزور أقاربنا وأصدقائنا، نزحف إلى الأسواق للتبضع، وهو

يوم مزدحم في أي سوق تدخله، لا تلحق المركبات في (الكراجات) تلبية زحف حشود المسافرين إلى العتبات المقدسة، ناهيك عن الجموع التي تتسربل بلباس الإيمان كي تؤدي من غير انقطاع فريضة صلاة الجمعة.

التجار فيه يتبضعون، الموظفون يستريحون من عناء العمل، الطبقة المثقفة تذهب إلى(بغداد)من أجل لقاء الكوكبة المتنورة، مثقفون وأدباء، يتم تداول آخر أنباء الثقافة ودلق سلال الهموم والغبن الحاصل جراء رفض نتاجات أدبية تهلج الحقيقة في وضح النهار بعيداً عن أجواء الرمزية واللف والدوران، من قبل محرري صفحات ثقافية يمتلكون وقاحة أكثر مما يمتلكون ثقافة، يتم مناوشة مسئولي الصفحات الثقافية ما تم إنتاجه خلال الأيام (الستة) المنصرمة، في مقاهي (الشاه بندر وحسن عجمي والزهاوي) أو بين تلال الكتب المتناثرة على جانبي شارع المتنبي.

كنّا نفترس الكتب الزاحفة إلى أرصفة سوق(السراي)، بسعر زهيد ونلتهم(كبة البرغل) التي لم تعد ممتازة كما كانت بالأمس الذي ليس ببعيد.

ما الذي حدث بين لمحة بصر وطرفة جفن، صرنا ننزوي في بيوتنا المظلمة بسبب عدم وجود(الكهرباء).

ليس ذلك ما أعني قدر تعلق الموضوع بحالة مستجدة، ظاهرة (اغتصاب) هذا اليوم من لدن

سياسة(ممنوع التجول)، مما حدا بمدير بلدتنا(جلبلاء) أن يبتكر فكرة قد تكون إلى حدٍ ما مقنعة، هو تحويل سوق(الجمعة) إلى سوق(السبت)، استجابة لضرورة ملحة تفرضها الحاجة كي تتواصل الحياة ويستمر رزق الناس على الناس حتى إشعارٍ آخر بالخردوات العتيقة والمستهلكات الفائضة عن حاجة البيت.

هذا الإعلان المبتكر دفع زميل لي أسمه(جمعة) كنّا نناديه (أبو سبتي) أن يعلن أمام أهالي بلدتنا، أنه سيغير أسمه إلى (سبت) وطلب أن ندعوه من اليوم فلاحقاً بـ(أبو أحد)خشية أن يصادروه في أية سيطرة أو نقطة تفتيش ارتجالية بسبب أسمه.

عزاءنا أننا ننسلخ شيئاً فشيئاً من أشيائنا الأليفة، وبدأنا نخسر مراسيمنا المبهجة لجمعتنا المسكينة.

خسرنا اللقاء بالأحبة والأهل، اللقاء بالمثقفين وشراء الكتب.

تم وقف رزق شريحة كانت تكسب يوم(الجمعة) رزق أسبوع بحاله، ليس ذلك فحسب صرنا نفقد حلاوة(صلاة) هذا العيد الصغير.

أخشى ما أخشاه أن يبرز صاحب صوت جهوري مستغلاً الوضع المتردي وينادي بجهر القول أن طقوس يوم(الجمعة)سيتم تحويلها إلى يوم(السبت)ويعلن من باب الضرورة المرحلية:

((يا أيها الناس إذا نودي للصلاة من يوم.....))

هذا اليوم الذي عارضوه يوم أعتبر عطلة رسمية كي تتماثل أيام أعمالنا مع أيام أعمال العالم.

للضرورة الملحة ومتطلبات المرحلة الحاسمة، وإن حصل ذلك لا سامح الله، هذا يعني بداية نهاية تراثنا.

يقول أرسطو:

[جوهر الثورة ينقسم إلى نوعين:الإفراط في الفقر، والإفراط في الثروة]

الرابح يأتي من الخلف

في فلسفة كرة القدم الحديثة مقولة غالباً ما تثير اهتمامات المتخصصين في العمل الرياضي، تلك المقولة تقول:

((الرابح غالباً ما يأتي من الخلف))

وهذا ما حصل في (مونديال)ألمانيا(**2006**)حين تقدم المنتخب (الآزوري) أو كما يحلو لبعض المعلقين (الطليان) تقدم من الخطوط الخلفية وخطف ثمرة كانت أشبه بالحلم جراء عاصفة (التلاعبات) في نتائج الدوري في بلادهم.

وفعلتها أيضاً العام **1982**بعدما لهثت بثلاثة تعادلات في المرحلة الأولى.

وفي بطولة الأمم الأخيرة لـ(أوربا)حين فاجأ(اليونانيون)الجميع ونقلوا الكأس الذهبية إلى قلعة(الأولمب)، بينما كانت وسائل الأعلام ومكاتب المراهنات تروّج بأضواء ساطعة للفرق دائمة الحظوظ والأمجاد التليدة وصاحبة الأرض والجمهور(البرتغال).

يمكننا أن نقارن ما بين تلك الفلسفة الرياضية وبين فلسفة حكومتنا الجديدة، من خلال الوتائر المتصاعدة مذ غادر أرضنا النعمتان الخفيتان (الصحة والأمان)، نجد أن في البدء كان إلغاء كل ما كان يمت بصلة للنظام السابق بقرارات كيفية غير مدروسة العواقب، أو جاءت من باب الانتقام والإقصاء لإراحة الضمائر الحاشدة كل وسائل الغضب

بدلاً عن عطر التسامح من باب:
((عفا الله عمّا سلف))

تـدهورت حياتنـا وتعطلـت مسـيرة الـبلاد وصـرنا نبحث عن بصيص ضوء بعدما أنرنـا مشـارق الأرض ومغاربها بكنوز العلم.

فالذي يحدث أن من رش الوقود على نيران كـادت أن تخمد، صـار يبحث عن وسـائل تغطـي تورطـه بمـا حـدث وراح يسـتنجد بمـن يمتلـك أيـة خبـرة مهمـا تضـاءلت فـي كيفيـة إطفـاء الحرائـق الكبيـرة، صـارت التنـازلات الورقـة الرابحـة فـي بسـط سـيادة الأمـن وإعـادة لحمـة الـبلاد إلـى سـابق عافيتهـا، شـيئاً فشـيئاً بدأت تلك القرارات والتي ولدتها جائحة الأحقاد تتفكك أمـام صـلابة أهـل القـوة والعنـف، وصـارت تحقـق أهدافها بكل يسر وتنتزع مـا أسست لـه من(مناصـب) تقـود فـي نهايـة المطـاف إلـى سـلّة السـيادة الدسـمة، لـيس أولهـا قـانون الاجتثـاث والـذي أحـدث فـي حينـه فراغاً مهولا فـي كل الـدوائر الحيويـة، ممـا دفـع الأمـر الاسـتعانة بغيـر مـؤهلين وأقربـاء مـن غيـر كفـاءات أو خبـرات أو أصـحاب شـهادات مـزورة لسـد الفراغـات الـذي اتسـعت وكـادت أن تتوقـف وزارات حيويـة علـى سـبيل المثـال لا الحصـر المؤسسـة التعليميـة، قبـل أن تتـدارك لجنـة صـياغة القـرار تلـك الغلطـة تحـت نمـاء بـذور العنـف وزيـادة رصـيد كتائـب معارضـة التغييـر، كذلك ما حصل لوزارتي (الدفاع والداخلية).

الآن بدأت الحكومة تبحث عن مخارج من هوة المأزق السياسي للبلد بعدما أستفحل العنف وسد كل أبواب التسامح والمصالحة، والكل يدرك أن(العراقي)ترعرع على مقولة مدمرة:

((قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق))

بطبيعة الحال كل الذين تم دفعهم خارج منافذ أرزاقهم هم الشريحة الكبرى والأهم من الهيكل العام للدولة.

هم (عراقيون) قبل كل شيء، بيدهم كانت أسرار الدوائر ولهم مكانة عند الناس من كثرة مراجعة الدوائر سابقاً أو كونهم أبناء عشائر وأسسوا لشخصياتهم أمكنة في قلوب الناس.

لندع ما مضى جانباً وعلينا بالقادم قبل أن تستفحل الأخطاء وتغدو مهاوٍ حقيقية أمام كل خطوة مباركة تخطوها الحكومة من أجل ميلاد الغد الذي طال أكثر مما يستحق من وقت وتصريف أموال.

ليس ثمة مجال لأي تسرع أو اتخاذ أي قرار قد تراه الحكومة مناسباً ويراه الشعب خلاف ذلك، مع وجوب إخضاع كل قرار يتعلق بحياة الناس ومستقبلهم إلى استفتاء عام وإشراك المتنورين والمثقفين في قراءته وصياغته بطريقة ملائمة قبل البت به، وليس من الطرافة أو العبث الاستعانة بفلسفة رياضية أتت الكثير من النتائج بما تؤكد مصداقيتها، فالسياسة كما هو شائع لعب بالرؤوس

بشتى الوسائل من مكر وعنف كما هو حال كرة القدم، طالما الهدف هو تحقيق مكسب أو إنجاز تأريخي بأية وسيلة كانت.

ونحن نخوض عملية المصالحة الوطنية المزعومة، يجب أن لا تكون على مصلحة الشعب الذي أعطى ما أعطى من دم وصبر، لأن الذي أتى من الخلف من باب العنف لابد أن الغرور سيدفعه بحثاً عن المزيد من المكاسب، وقد يكون دربه مفروشاً بالتسامح الزائد عن الحدود، بعدما أسس لنفسه أرضية شعبية بسبب قسوة العيش والنيران التي كوت كل بيت بلهيب الخوف والعوز.

وما ترتب من تداعيات آلت إلى زيادة الغضب والنفور واللانزاهة وفقدان الثقة بالنفس وبالغد وتكذيب كل الوعود جراء ما تم إطلاقه من أفواه مسؤولين وعدم الإيفاء بها، قد نكتشف في قوادم السنين أنهم يتبوءون المكانة العليا ويعيدون دوران الزمن وفق ما يشتهون، طالما السادة مسئولي البلد غير منشغلين بترضية الناس وتوفير أبسط المتطلبات المعيشية لهم، همهم الرئيس مع مال البلد ينصبان بلا وجع قلب من أجل ترجل رافضيهم وأصحاب الدم البارد قليلاً من عنادهم وتكليف أنفسهم لمصافحتهم مقابل أي مطلب يرغبون.

ومن يدري ربما في المستقبل القريب نجدهم هم (الرابحون) كونهم دخلوا من النوافذ المنسية.

وعلى أدق تعبير أتوا من الخلف.
يقول باسكال:
[أن للقلب تفكيراً لا يفهمه العقل أبداً]

صورة المجاهد في نضاله

يا حامل السلاح.
ليكن الكفاح.
وفق ما يناسب خطاب عصرنا المباح.
ليس بوسعنا زيادة أرصدة الجراح.
أما آن أن نهتف معاً:
حيّ على الإصلاح!

***

ولّى زمان الفروسية والسيف، ولّى أوان الكر والفر، وصار اللسان كما عبّر أجدادنا:
((يطلع الحيّة من الزاغور))
حسناً لنعتبر من أنتهك في غفلةٍ من الزمن حرمة ديارنا أفاعي شرسة، أو سمّيه ما شئت، أليس اللسان هو أنجع وسيلة لترويضهم، من غير نزف أو تدمير، من غير عنف يمكن تنظيف ما تراكم من آلام وتطبيب النفوس الآيلة لتفكك وهدر المزيد من الأموال والموارد.
لنتصفح كتب التأريخ، كل التأريخ طبعاً، تأريخ الأمم التليدة، كونها أوعية مصانة من عث العابثين

وأقلام المتخرصين، مهما قست الأقلام الخادعة أو المباعة لقولبت أحداثها، حافظت على حرارتها وصدقها ولو من تحت الإقامة الفكرية.

فيها مآثر وعبر تنفع في الأيام السود، فيها سيّر أبطال ظلّوا على الرفوف العالية في كتاب الزمن، منارات تسطع لكل جيلٍ آت، يرغب الرفاهية والسلام من باب((ألف صديق ولا عدو واحد))

لنقرأ بتروي صفحات مشرقة يقيناً تضيف لمشاعرنا مصابيح نادرة الإضاءة أوان عاديات الزمن، تفتح أذهاننا، من باب (الجهل ديجور).

يقيناً ثمة دهشة.

آه.. سيحار اللسان وصف معادن رجال، من كل عصر ومصر، ليس ثمة اختلاف يزكيهم عنّا، من لحم ودم كانوا، عانوا شظف العيش، جاعوا وتعروا، ليس ثمة فرق بيننا إلاً في طبيعة مواجهة الصعاب، من عقولهم النيّرة صنعوا سفن رحلاتهم إلى آخر ومضة ضوء وآخر شهيق بشري على وجه البسيطة، نزفوا الغالي والنفيس ولم يتنازلوا عن قيّم مبادئهم ولا سطوع أخلاقهم، قاتلوا أعدائهم في كل الميادين، وجهاً لوجه، ببسالة دون اللجوء إلى وسيلة الغدر، بالهدنة تارة وبالمواجهة العلنية والصريحة طوراً.

لك يا من كنت بالأمس القريب أخاً لم تلده الأم، كنّا نتبادل (السلام) تحية يوم اللقاء.

لم صارت العيون تقدح شرراً لا تليق بالذي حمّل

كاهله أعباء لم يخلق لها، أيها المهموم يا حامل من غير تكليف وهم صناعة الحياة أو فرصة استرجاع ما ابتلعته الضواري، لابد أنك تدرك الشهامة والغدر لا يلتقيان، بينهما بون شاسع لدى من أتخذ مهنة الشجاعة وسيلة لدفع شرور الناس، خذ العبرة وتحل بالصفات المعبدة لتحقيق الغايات النبيلة، وتقدم واثق الخطى نحو هدفك، بطرق تليق بواقع حال الزمن، باللسان تفتح آفاق ونوافذ تؤدي إلى الغايات المأمولة، إن كنت حقاً صاحب رسالة إنسانية، وكنت لنفسك الغالية ناذراً في سبيل تحقيق حرية الناس بالعدل والإحسان، ضع نصب عينيك أن رجال الأمس تنزهوا إلى أقصى درجات نكران الذات، تواضعوا وأفلحوا، نأوا جوارحهم عن كل فعل هو ليس من صفات الرجال، لم يقتلوا جرحى محتلي بلدانهم ولا أسراهم، أليس ذلك من الخصال النبيلة، الرفق واللين(العفو عند المقدرة).

أليست تلك الأعمال هي نوع من مكر الحروب.

تقول رواية:

[لمّا حُصرَ جيش، أمر القائد أسر بعض جنود الأعداء، أمر بإذكاء نيران ووضع قدرين كبيرين على موقد للنار أمام أسيرين، وراح كل جندي(يحد إسنونه)بعود أعد للغاية، ثم فسح المجال كي يهربا، الأسيران لمّا وصلا إلى جيشهما قالا بهلع ورهبة:أنهم يأكلون البشر]

على أثر قوليهما ولّى المحاصرون هلعاً، ألم تكن تلك اللعبة خطة ذكية وماكرة جلبت الحياة لجيش كامل من غير سفك دماء وخسران أرواح وسلاح وتبذير أموال تنفع لا في هدم الحياة بل في بنائها.

لم قام قائد (إيطالي) في الحرب الكبرى الثانية، بإرجاع ضابط عدو هرب من جيش بلده، لم يودعه في قفص الأسر ولم يقتله، بل قال في وجهه قول الرجال:

((أرجع إلى جيش بلدك يا جبان))

ألم تكن نفسه كارهة للغدر والنصر السهل.

تؤكد المعارك الكبرى عبر التأريخ البشري، أن البطل الحقيقي الرابح من يبسط تواضعه بين الناس، يرسم لنفسه صورة جميلة في أذهانهم، تدعهم على أهبة الاستعداد لنصرته وتقديم أنفسهم قرابين لتحقيق حلمه الذي بطبيعة الحال هو حلمهم، فمن يبغي ارتقاء الصعاب عليه أن لا يمس أي شيء يعود عليهم بالنعيم، وربما سيكون سلّماً له في قوادم جهاده، هو الذي يستقبلوه بالأحضان ويفرشوا دربه بالورود.

ألم يكن رسولنا الكريم(صلى الله عليه وسلّم)متواضعاً خجولاً رغم أنه سيد الكون وحامل عبء الإنسانية وشفيعها، ألم يعفو عمّن آذاه، ألم يفرض على أسرى أعدائه تعليم(عشرة مسلمين)مقابل الحرية، ألم يعالج(صلاح الدين

الأيوبي)قائد الحملة الصليبية في مهجعه، أنظر كيف كان(المهاتما غاندي - سيمون بوليفار ــ جيفارا) قاتلوا أعداءهم بوسائل إنسانية، وراءهم شعوب لمّا تزل تغني بأسمائهم.

صورة كل مجاهد يجب أن تكون ناصعة تعكس صفات رجولية لا تشوبها شائبة، طالما في رحلة جهاده يحتاج لمن يسانده ويدعمه، ليس من النضال من ينحر بدم بارد أخاه تحت ذرائع واهية وحجج باطلة، الكل عبيد وما الحكم والأمر والحساب إلاّ بيد القدير العلي، الذي أمهل كي يرعوي كل ذي منّاع للخير، كل معتد أثيم، لا يهمل صغائر الأعمال، أنه بالمرصاد، وكل شيء بميقات.

إنك أيها الدعي تخالف كل الأعراف النضالية، أليس لسان المرء حصانه كما هو شائع، أنك ترهب الناس بوسائل لا تحقق إلاّ الخراب وقتل النفوس وتزيد أرصدة أعداؤك، تسلب الناس راحتهم وسر تواصلهم، تبدد أرزاقهم، تشردهم من منازلهم كي يتفككوا بعدما جمعتهم حجّة الحياة ومتطلبات قطار الوجود كما شاءت الطبيعة وكما أراد الله((شعوباً وقبائل لتتعارفوا))

يقول جمال الدين الأفغاني:

[خائن الوطن من يكون سبباً في خطوة يخطوها العدو في أرض الوطن، بل من يدع قدماً يستقر على تراب الوطن، وفي أي لباس ظهر وعلى أي وجه

أنقلب]

مواسم الهجرة إلى الأمان

المهاجرون الأوائل لم يهاجروا إلاّ من أجل صناعة الحياة، يوم رافقوا رسول البشر(صلى الله عليه وسلّم)في رحلته الجهادية كي يغرس شجرة الإسلام المباركة في مكان مكين وأمين، خارج أرض الله

الطاهرة(مكـة المكرمـة)، فـي فيحاء(المدينـة المنـوّرة) بعيـداً عـن تطفل(القرشـيين)، وكلهـم يقـين أن ثـورتهم شـجرة عاليـة فرعهـا فـي السـماء وجـذعها ثابـت فـي الأرض، آتية من دون ريب أكلها ولو بعد حين.

عبر التأريخ الطويل للبشرية، أقوام كثيرة تجشمت عناء الأهوال والخطوب أثناء الهجران عن مواطنها، حتـى انـدرجت حكاياتهـا ضـمن كتـب الأسـاطير والخـوارق، نقلتهـا أقـلام مبدعـة ونظيفـة كـي تغـدوا مواثيـق حيـاة لمـن يعتبـر وقناديـل متوهجـة للسـائرين نحو شاطئ الحقيقة.

شعوب بحثت عن الكلأ أوان جفوة السماء لأسباب منها غيبيـة ومنهـا تتعلق بطبيعـة وصـفات تلك الأقوام فـي تعاملاتهـا اليوميـة، مضـت تشـق مسـارب الأرض بحثاً عن الماء والقوت.

شعوب هربت من مكامنها، كونهـا حاضنات زلازل وبراكين تحصد كلما تجمح أرواح وموجودات.

شـعوب وجـدت المنـاطق الحدوديـة(قعود خسـران علـى النيـران) جـراء المناوشـات العسـكرية المتكـررة للبلـدان(المتحاددة) مـن أجـل أشـبار رمـال أو هـوس الجنـون فـي رؤوس غيـر آبهـة بمـا تترتـب مـن نتـائج جرّاء غرائزهم الحيوانية فيما بعد.

شعوب هربت من قسوة الدول الجوار، جرّاء إيواء مناوئين ومعارضين لسياسة بلدهم.

كل تهجيـر لابـد وراءه سياسـة رعنـاء مـا لـم يتعلـق

الأمر بنضوب مصادر القوت أو بحثاً عن حياة أفضل.

التهجير القسري ورقة غير معتمدة على طاولة(مجلس الأمم المتحدة) طالما دستورها المعلن يتعامل بالمزاج والمصلحة الخاصة للبعض في تعاملها مع الأحداث العالمية الإنسانية، والتي هي رسالة مقروءة للجميع، لأن لا وجود لهكذا(مجلس) لو تم تعمير الأرض وتطبيب نفوس البشر من هلوسات العرقية والطائفية بوسائل غير العنف وتغيير الحكومات تحت شعار تخليص البشر من نير العبودية أو الدكتاتورية.

ربما أقرب ما يحصل على أرض الواقع ما جرى في(لبنان) وما يجري في(العراق)، ألم يتمكنوا من احتواء الأزمة قبل بدء مساجلات التدمير العشوائي للمدن والتهجير البشري قبل أن تقوم (بالاستجداء) تحت عنوان المعونات الإنسانية لهم.

معايير لا تتشابه وموازين مختلة دائماً وأبداً، وتحت هذه الحراسة الهشة لمن للسلام يجتمع، ستظل شرائح من الناس تغادر أرض الطفولة وتترك ما قامت بتأسيسه بسنوات بلمحة بصر، طالما هناك دول غير مشمولة بقرارات الحصار أو التفكيك أو التبديل السياسي، وهي في وضح النهار تلعب لعب من قتل وتشريد وإقصاء لشرائح تراها غير مندمجة مع أهدافها.

كل سياسي يحاول حين يتربع على عرش كرسي

السلطة، أن يجري مسحاً شاملاً بغية تغير(ديموغرافية) المدن وجلو القلوب من عقائدها، ونسف ما تراكم في الأذهان من تراث تليد بالنسبة له، يؤسس لثقافة الخراب، عبر وسائل شيطانية تنفذها أزلام جاهزة لكل فعل مهما كان بغية كسب ود سيدهم ورضاه والفوز بمناصب وكنوز، تقام حفلات تهجير علناً تحت مسميات شتى مقنعة رغم أنف الرعية، تحت أنظار العالم وسكوتهم، وربما يتم فرض الرقابة الصارمة على كل من يروّج عبر وسائل الإعلام لذلك الفعل كونه يمس مصدر رزق الدولة وعلاقتها النشطة مع (الرئيس) الجديد للبلد العنيد.

تستمر عمليات الترحيل لفئة أخرى يراه(حامي حمى الجميع) ملائمة لسد الفراغ في تلك الرقعة (المؤنفلة) بعد وسائل تشجيعية من مال وقطعة أرض ومناصب في الدوائر الحكومية، تتبدل الثقافات وتتلوث بوسائل تدميرية مهيأة في فكر (علاّمة) زمانه.

ها هم العراقيون يهاجرون في رحلة الحرب والسلام، مع وجود عوارض غير قانونية أو مصاغة من لدن الساسة، بل هي قرارات ارتجالية غير مدروسة، تؤسس لفك ارتباطات الطوائف والقوميات مع البعض بعضهم ، قرارات تقرها لجان تستعمر وحدة إدارية أشبه ما تكون سياسة التعريب والتهويد

والتتريك والتفريس سيئات الصيت، في وقت باتت الحكومة الراهنة، تفعل ما بوسعها لتبسط ذراعيها على أوسع ما تستطيع كي تتصالح مع الرافضين أو الطامعين بكعكة(العراق) الدسمة، كي يتم المحافظة على ما تبقى من ماء الوجه للشعب، والبدء بعملية تيسير السفينة إلى بر السلام، نجد أن البعض منّا يكتشف نفسه راحلاً تحت تهديد ورقة ربما يلقيها جار حسود أو حاقد، أو متطفل ظلّ يضمر في قلبه شراً قديماً آن أوان تصفية حسابه، وليس غرابة أن نقل أوراق ألقيت إلى عائلات لأنها رفضت إعطاء بناتها لأبنائهم زوجات، وأخرى هاجرت بعد (عيش وملح) بسبب خصومات بسيطة بين الأطفال جرت تسويتها قبل حين من الدهر، لكن القلب الجاهل يبقى خارج أسوار التسامح والنور الساطع للإنسانية، يحلو له إفراز ما هو ينافي الأخلاق والأعراف والقيم والأصالة.

تم تهجير عائلات تتنزه بكنس (سيانة) المحلة، لأنها بيوت بلا قاذورات، أو أنها تستعمل الوسائل الحديثة في رمي حاجاتها الفائضة عكس البقية التي ترميها وسط الأزقة والشوارع من باب الجهاد والتحدي ووقف المسيرة الجديدة للبلاد.

ترى هل من وسيلة توقف النزف الحاصل في المدن المتداخلة الأعراق، ولم لا تكن فكرة (الأقاليم) بعد توضيح آفاقها وتفهيم الناس بنجاحاتها في بلدان

كثيرة، شريطة أن تكون الفكرة مرتبطة وفق قانون يسن ويضاف إلى الدستور بـ(المركز) كي ترتاح ضمائر الحائرين، وربما هو الحل الملائم للمرحلة الآنية لتقليل وتذليل العقبات العصية، كي تتفرغ الحكومة لما هو لاحق ونافع لبناء مؤسسات الدولة والمجتمع المدني، وإعادة النظر بجدولة الديون المترتبة بذمتنا، وتخليص دوائر البلاد من الأيدي القذرة اللانزيهة والتي هي سرطانات تفتك بصحة المجتمع، وربما تدفعنا الفكرة للهيمنة على منافذ الأزمات وتبسيط الأمن وتيسير أمور الناس وتوفير متطلبات عيشهم بيسر طالما تصبح الرقعة الجغرافية ممكنة السيطرة عليها وتنظيفها من العابثين، رغم زوال مروجو فكرة تدمير (الديموغرافية) نجد إنَّ العراقيين يواصلون الهجرة، شمالاً من تقبله الوحدات الإدارية المستقرة نوعاً ما، وجنوباً من تؤهله طائفته ليكون وافداً معززاً مكرماً بينهم، أو من يجد(الخارج) المسامح ملاذاً آمناً، طالما يمتلك من الموارد المالية ما يوفر له العيش الرغيد.

عقول علمية وأدبية تتشرد إلى المنافي، بحثاً عن لقمة طعام وفسحة أمان، جراء إهمالهم أو إقصاءهم من العملية السياسية وعدم الاستجابة لمطالبهم المشروعة، غادروا غير مأسوفين طبعاً، رافعين شعار(أرض الله الواسعة) والأرزاق بيد رب العباد.

يقول هاروكي موراكامي في(كافكا على الشاطئ):

[قد يحدث أن يستطيع الحب إعادة بناء العالم]

من يتيم قريش خذوا نهجكم

ما أحوجنا اليوم لحكم أجدادنا، ونحن نخوض صعاب محن مروا به وتجاوزوه ببصيرة نافذة ورجاحة رأي ربما فلت من لسان متواضع فتواضعوا له وخرجوا من عنق الزجاجة.

الكل يعرف أن قريشاً كانت سيدة الأمصار ورجاله سادة البرية وتجّارها، لا ينثلم لهم سيف ولن تنكس

لهم راية في الحرب، لكن الله أمتحنهم يوم اجتمعوا وهم في جدال وتحدي من أجل عمل رأوه شرفاً سيجعل من منفذه نجماً ساطعاً في التاريخ.

لقد بنو الكعبة وتعذر عليهم أن يجدوا حلاً بسيطاً لمعضلة فاجأتهم، ألا هو رفع(الحجر الأسود)، كل رأس قبيلة وجد نفسه الرجل المناسب والمؤهل لهذا الشرف المقدس، في غمرة الفوران الجدلي نبع نور متواضع عقر ألسنتهم وتنازلوا متواضعين له، وافقوا بمحض إرادتهم لرأي سديد هو الامتثال لرأي أول من يدخل عليهم، لقد كان الله بالمرصاد للجهابذة والمتنفذين وسادة القوم، أراد أن يفهمهم أنهم مهما امتلكوا من أموال وجاه فهم بلا عقول أو عقولهم ما تزال غير مكتملة إن لم نقل ناقصة.

أن الإنسان مهما كانت طبقته الاجتماعية ونفوذه وجبروته وربما علمه سيقف عاجزاً أمام مواقف بسيطة، وأن من البشر من هو يتيم ضعيف فقير يمتلك ما لم يمتلكه الآخرون من سبل فك العقد المستعصية.

أرسل الله لهم (اليتيم) الذي فيما بعد صار سيداً للبشر ورسول خلاصه من ربقة الضلال ونير العبودية، فرش بينهم عباءة ووضع (الحجر الأسود) وأمر سيد كل قبيلة أن يمسك بطرف، هكذا هي الحلول المقدسة لإنقاذ السفن التائهة في عرض المحيطات الغامضة، لقد كان أمرهم شورى بينهم،

الكل أشترك وتوحد فطاشت فرص التقاتل فيما بينهم.

ما أشبهنا اليوم بالبارحة، لأننا أمة جعلها الله وسطاً وسفينة إنقاذ للعالمين ودس في تضاعيف أراضيها خيرات ومنابت العلوم، ها نحن نمر بأزمة نراها سهلة رغم أنف المتشككين وصيادو المياه العكرة، هل حقاً عجزت عقولنا النيرة من فك عقدة (السيادة) لحكومتنا، المشكلة بيد سادتنا أصحاب الكيانات السياسية والمذاهب الدينية، نراهم يتناحرون سراً ويبتسمون علناً، هم في اختلاف وتناحر عاجزين عن إيجاد الحل الملائم لإنقاذ سفينة (العراق) من الغرق.

نقول يا حكومة:

أن بلادنا تعج بفقراء وأيتام ربما دفن الله في رأس أحدهم الحل المنقذ، به تميرون وجهوكم وترفعون رؤوسكم وتخلوا لكم البلاد لزراعة أحلامكم وتسير سفينتنا كما كانت مليئة بالخير الوفير.

افتحوا الباب السياسي على مصراعيه لحل يأتي وتواضعوا له بعيداً عن العرقية والطائفية والمحاصصة.

أطرح أمامكم يا سادة رأياً متواضعاً قابل للنقاش، تدارسوه عسى أن ينفعكم في محنتكم، لتكن المناصب السيادية في عراقنا بالتناوب بين الطوائف، شريطة أن يسن دستوراً بذلك، على أن تكون لدورة واحدة غير قابلة للتجديد، كي تشترك الأطراف ثقيلة الوزن

في رفع المآسي عن أرضنا، على أقل تقدير في هذه المرحلة الحاسمة لمتطلبات الظرف الطارئ والزائل بصبر العراقيين، رغم نبذنا للتفرقة وأيماننا بأن العراق شعب متكاتف لا تغريه الهويات، فعندما يستلم رأس الحكومة شيعياً نائبيه كوردي وسني، رئيس الجمهورية كوردياً، نائبيه شيعي وسني، رئيس البرلمان سنياً، نائبيه كوردي وشيعي، وبعد أربع سنوات يتم تبادل الأمكنة بطريقة ستسحر العالم وتثبت أن أرض الحضارات لما تزل نابضة بالتشريعات الحيوية وعامرة بالخير الوفير الدائم والسلام المأمول لسيادة دولة القانون ومؤسسات المجتمع المدني.

يقول شكسبير على لسان ريتشارد الثالث:

[لو كانوا يحكمون لا أن يتحكموا، لوجد البلد المريض بعض العزاء]

براءة اكتشاف..
البرلمانين لا يقرؤون الصحف

باتت الصحافة تشكل السلطة الرابعة، لما تمتلك من قوة تأثير في المجتمع، وربما إلى حدٍ ما أصبحت المنفذ المباشر ما بين السلطة التنفيذية والناس، تحديداً عندما تكون هناك حرية تعبير ومنافذ لنقل متطلبات الإنسان الفكرية والمعيشية وتوصيل صوته إلى من بيده الأمر، شريطة تواجد رؤساء تحرير صحف يعملون بحيادية تامة، ينقلون ما يجري في الشارع من غير لف أو دوران، أو إنحيازات إلى فئات قد هي في تضاد مع الفئات الأخرى.

ومنذ**4/9**، أجد صحيفة(الزمان) من غير انحياز طبعاً تواصل نهجها الصحيح ونقل ما تطرحه أقلام غير مسيّسة وتعبر وجهات نظر هي من رحم الواقع

المؤلم لبلاد صارت فجأة قبلة أنظار الطامعين وساحة صراعات لدول لا تتعاطى الرحمة في خط نهجها السياسي.

ومن المعلوم أن الصحافة لعبت دوراً حيوياً في تطوير الإنسان ووفرت له مساحات واسعة من الثقافة أهلته أن يكون منتجاً ومسانداً لسياسة بلده، قبل أن تغدو عرضة لهجمات المعلوماتية المرعبة وآفة الغزو الثقافي، في وقت بات الفرد يبحث عن أبسط وسائل العيش وبدائيتها على أقل تقدير واحتمال.

لا أبغي تلك الفئة الانتهازية والتي روّجت بعالي الصوت وبوجوه من غير أقنعة رافعة عقائرها لنفخ أبواق التعبوية والتي صنعت أناساً فارغين مهووسين بأنفسهم أكثر مما تجرح مشاعرهم لكل(فايروس) ألم يجترع حياة الرعية.

بل أعني الثقافة التي بسطت نور الحياة ومهدت للقانون سبل بسط سيادته وأثلجت الصدور القلقة والعقول الحائرة.

لقد وفرت جريدة(الزمان) مساحات قلما تستطيع أن توفرها الصحف الكبيرة، تحديداً تلك الأعمدة الصحفية لأقلام تناضل رغم التهديد، والوضع غير المشجع، لا تكل أو تخشى، بل راحت تسرح وتمرح في كل بوصة أرض من بلادنا، تلتقط كل ما هو ينافي شرائعنا، لتفرش كل ما هو صريح وواقعي أمام أنظار السادة المسؤولين، هي إفرازات تتشظى يوماً إثر

يـوم، بـين جـوانح مجتمـع بـين عشـية ليلـة وضـحاها وجد نفسه مكتوياً بنيران لا تخمد، وكسوف لا ينجلي.

لـيس بوسـعنا أن نخـوض فـي موضـوع شـائك، قدر تعلق المقال بنقطـة حساسـة من الأهميـة بمكـان، كونهـا المنبـر الواضـح واللقـاء غيـر المكلـف، مـا بـين النـاس وساستهم.

وجـدت مـن خـلال متـابعتي المتواصـلة للصـحف والتـي هـي الآن بعـدد أعضـاء البرلمـان والكيانـات السياسية أو يزيد، أن من أصبح برلمانياً أو وزيراً لم يكلـف نفسـه فـي يـومٍ مـا أن يتجشـم عنـاء القـراءة وتكليف أصابعه لكتابة بضعة أسطر على ما تطرحـه الصحف من طروحات على جميع المستويات، وربما توضيح مـا يشـغله أو يـراه مناسباً للخروج من مـأزق (العراق) أو علـى أقل تقدير تكليف النـاطق الإعلامـي للـوزارة أو للكيـان أن يـرد علـى مـا يخصـهم أو يخص(عرقنا المبتلى بالجهل).

ربمـا نسـتنتج أنهـم لا يقـرءون (الزمـان) تحديـداً، وهـذا مـن عنـدياتي، لاعتبـارات يعرفهـا القاصـي والـداني، أو بسـبب انشـغالهم بـالهموم والاسـتحقاقات الشخصـية، أكثـر ممـا تجـذبهم أوجـاع رأس الصـحافة والتي ما عادت تشكل أي اتصال لا من قريب أو بعيد بالسـلطة، جـراء الحساسـية السياسـية والاخـتلاف فـي الرأي والميول.

ربما يطرح السؤال نفسه:

((هل قرأ أحدهم ما خطتها أقلام - فاتح عبد السلام/علي السوداني/ هادي جلو مرعي/ضمد كاظم وسمي/أديب أبو نوّار/ صاحب السماوي/منذر آل جعفر/سعد العبيدي/ مؤيد الصالحي/ نصير الزبيدي/صباح الخزرجي/عبد الجبار السامرائي/علي حسن عبيد/نعيم عبد مهلهل/سمّاك برهان الدين/هادي الشحتور/حسن حنفي/حميد المطبعي/وكاتب هذا المقال))

والكثير من الأسماء المتواصلة بحثاً عن صحيفة تمنح صاحب رأي أو فكرة مساحة ود كي يقول ما يبغي قوله طالما الغاية تبسيط الأمور وتوضيح الأشياء المتعلقة بما يجري في بيتنا السياسي، وهل عرّج أحدهم على أسماء ظلّت في صفحة (أغلبية صامتة)(حسين علي غالب/عبد الجليل تركي الشاطئ) والكثير من الأسماء التي ليس بوسعنا إحصاءها وليعذرني الجميع على ذلك، أم أنهم نسوا كلياً الجهد الفلسفي لـ(ناجي التكريتي) وهو يبحر عميقاً بـ(خطابات إلى رجال الدولة)والتي ستقارب الـ(مائة خطاب)قريباً، لما فيها من رؤية واضحة ودروس في فن حب الناس والسبل الكفيلة في تيسير المهمات الكبرى.

يارجال الدولة أن وقتكم وفير وليس لكم أية أعذار.

(كهرباءكم)متواصل خارج معمعة البرمجة.

(ماءكم)يأتي داخل عبوات لا تصلها الجراثيم.

(وقود)سياراتكم محسنة غير مشمولة ببطاقة الأزمة.

وأنتم لا تحتاجون مطلقاً إلى أسواق مركزية أو شعبية للتبضع، كل شيء مهيأ لكم من أفضل المنافذ، ولا يصلكم عدوى أي مرض، محصنون ومصانون ومترفهون، فما بالكم لا تكلفوا أنفسكم قراءة صحفنا المناطرة إلاّ يوم(الجمعة)كونكم صادرتموه، لتعرفوا قوة صوت الناس، وربما تجدون فرص تاريخية لزيادة أرصدتكم الشعبية من خلال أقلام لا تكلف أو (كومبيوترات) ظلّت صامتة في بيوتكم، ليكن اللقاء النافع عبر وسائل (السلطة الرابعة) بيننا وبينكم، بعدما عاث الخراب بشوارعنا، وصار لقاءكم مثل رؤية(نجوم الظهر).

أقول قولي هذا، من أجل إعادة الثقة وربط خيط الحوار الصريح كي نعرف هل أننا نمشي على الدرب الصحيح كما نشتهي.

أم أننا في وادٍ تائهون وأنتم في نعيم تسبحون.

يقول إدوارد سعيد:

[لا يمكن مواجهة ثقافة القوّة إلاّ بقوّة الثقافة]

خذني معاك

سأل أحد القضاة متهماً:

((لم سرقت جهاز الراديو؟))

لم يتلون وجه المتهم أو يرتبك بل أجاب بكل ثقته المطلقة بنفسه أنّه لم يسرق، وراح يفرش قضيته على طاولة المحاكمة بكل تواضع.

بينما كان المتهم بالسرقة يروم السفر خارج البلاد هرباً من جحيم السكن وتدهور الأوضاع من غير بادرة حل أو بصيص أمل يلوح في أفق ستراتيجية(البرلمان)الذي وعد ولم يفِ بوعده ربما لسنوات أخر وربما للأبد.

سمع المتهم صوتاً نسائياً يستنجد أولاد الشهامة أو من يمتلك بقايا شجاعة أو غيرة في يومنا هذا لإسعاف المنكوبين ومن ظلّ بلا معيل يعيله أو يحميه من غلواء الحياة، كانت المرأة تستصرخه:

((خذني معاك إن كنت مسافر))

ولكونه إنسان يرفض كل ما هو خارج سياقات

الإنسانية أو ما يحفر بئر المآسي أمام البشر وربما كونه إنسان لمّا يزل يحافظ على تلك الأخلاقيات التي توارثها جرّاء تربية صحيحة، ويرفض أن يتنازل عن كنوزه الإنسانية النبيلة والتي هي(رأس ماله) في أي عصر مهما تدهور، ومن باب الحرص وربما ثارت حماسته ونخوته لبى نداء تلك المرأة المستنجدة الراغبة بمرافقة كل مسافر.

حمل جهاز المذياع معه ومشى لحال سبيله قبل أن يتم ملاحقته وتقديمه لصاً أمام القضاء الذي راح يهمل ويمهل القتلة وسارقي أملاك الشعب كي يزدادوا منعة وفطنة وشيطنة وثراء على حساب الفقراء، وتفرغ بكل جبروته للأشياء المهملة والروتينيات العتيقة والتي هي إفرازات(قيوح)ما يجري من غير فعل حقيقي لوقف التدهور والتفكك في أساسيات المجتمع.

تلك هي مجمل الحكاية.

ربما هي طرفة مسلية صاغها متفكه في لحظة بحبوحة، لكن لكل مقام مقال كما يقال، وليس هناك شيء من غير أساس، لابد من وقائع واقعية تحدث وتكون أرضية ممهدة لصياغة طرفة أو حكمة من قبل عاقل يعرف تحويل الوقائع إلى مسلمات حياتية تنفع في الأيام السود للأجيال التالية أمثالاً وحكماً كي يحتذى بها.

تتشابه هذه الحكاية مع ما يجري في بلادنا، تحديداً

في كل مؤسسة أو دائرة من غير استثناء طبعاً، ولو أقمنا جرداً في كل مخزن للمؤسسات الحكومية، بطبيعة الحال لا نجد(stock book) يحتوي على ما تم شراؤه بعد(الثامن من نيسان من عام المأساة الكبرى)، أو يوم اندحار أوّل وأعظم حضارة تعترف بها البشرية من غير لف أو دوران.

لقد تم شراء وبلا(وجع قلب)أو قليل حرص مواد تتعلق أو لا تتعلق بطبيعة كل دائرة من باب سد النقص المزمن أو تحديث وتبديل وجه وباطن المؤسسة، أثاث اعتبرت فاخرة حسب(الوصولات)، أجهزة كهربائية تنفع أو لا تنفع، وتم تخصيص(مال مفتوح)لها من قبل مهندس تدمير الشرق الأدنى (بريمر).

القاصي والداني يعرف تلك العلاقة المتينة ما بين المشتري والبائع، جراء تراكم الخبرة خلال سنوات الألم العراقي الطويل، تحديداً تلك العمليات التي كانت تخص مشتريات الدوائر الرسمية لما فيها من منفعة مادية هي(فرصة عمر) بالنسبة لهم، يتم كتابة السعر غير(الصحيح)طبعاً، ربما مضروباً بثلاثة أضعاف أو يزيد حسب ذكاء اللجنة، كي يستفيد (المخزني)أو لجنة المشتريات من الفارق في تلك الصفقات.

هناك فرص تخدم عمليات النهب المتواصل، كون أغلبية الجهات صارت(تصرف)مدراءها ولجانها (المشترياتية) تحت (يافطة) عدم الكفاءة أو الميول

الحزبية وعدم الولاء للوطن، تحت ضغوطات لجان مجالس(المحافظات)وأعضاء(المجالس البلدية) وربما للترضية ليس إلاّ، من غير مدارسة القرارات والتوصيات الصادرة في اجتماعات طارئة لسد ألسنة متقولين أو ما تروجه الصحف غير الموثوقة كونها تهمل ما هو أهم وتنشغل أو تفتعل من باب الإثارة، تحبك أزمات داخلية غايتها بيع أكبر عدد من الصحيفة وجذب قراء جدد، متناسين إنما هم يزرعون أمراض تفتك بجسد العملية السياسية الجارية لنقاهة البلد وتخليصه من سرطان التمزق.

قد تكون كل أزمة مغرضة إلى حدٍ ما، من لدن إحدى الكيانات السياسية للهيمنة على المنافذ(التمويلية) والمواقع المهمة في كل بوصة ممكنة يؤسفني أن أقول(اغتصابها)، أو عرقلة جهود خيّرة تبديها جهة منافسة وجدت النزاهة والصراحة هي (الميثاق) لكل من يبغي حياة سعيدة.

ويا للأسف أن تلك الدوائر تستجيب لكل مطلب من قبل مجالس(محافظي أو بلدي)من غير اللجوء إلى لجان تحقيقية لتقويم وتوضيح الملابسات الحاصلة وتقويمها في زمن لم يبسط القانون سلطته بعد.

نكتشف وراء كل تبديل(مدير) أو(لجنة مشترياتية)أن ما تم شراؤه قد اختفى بالتمام والكمال، من غير ترك بصمة أو دلالة أو وصولات الشراء لمن يستلم من بعده، كونهم يدركون أن من يستلم

(الوليمة)سيتغاضى النقص والاختفاء الحاصل، لأنه لا يرغب تعريض حياته وحياة عائلته للتصفية من أجل شيء لا يعنيه (طبعاً)، ربما هؤلاء كونهم يدركون أنهم راحلون لا محال من أماكنهم فراحوا(يأخذون كل شيء)مثلما فعل ذلك المسكين يوم حمل جهاز المذياع تلبية لنداء مستنجدة ظلّت تصرخ: ((خذني معاك.....))

يقول أبن تيمية(رحمه الله):

[أنَّ الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، بالعدل تستصلح الرجال وتستغزر الأموال]

حكاية ربّاط الكلام

لا تـأتي الحكايـات مـن فـراغ، ولكـل حكايـة مغـزى وعبرة.

سـمعنا حكايـة تقـول أن عـاملاً علـى ظهـر بـاخرة، رصـد ذات ليلـة الربّـان وهـو فـي حالـة سـكر شـديد، يمتلـك رغبـة أن يلـتحم بمـن هـي زوجتـه علـى الهـواء الطلق وتحت سماء البحر الرطـب، عبثـاً ظـل يستدرج ويسـتنجد بمـا يمتلـك مـن وسـائل أغـراء كـي ينـال (فرصته)، راح يذهب إلى نهاية الباخرة ويعود كـالثور الجـامح، والمسـكينة متمايلـة علـى حـاجز البـاخرة، مستسهلة له الوضع الذي يريد.

تمكـن عامـل فـي المينـاء أن يتسـلل مـن منامـه بعـدما فقـد أرادتـه وركـب الشـيطان رأسـه ويـدنو بهـدوء مـن زوجـة الربّـان التـي كانـت متناعسـة وثملـة أيضـاً، فعل مـا أراد وأنسـحب كـي يـدس نفسـه تحـت الغطـاء بـين رفاقـه الغـارقين فـي سـابع النـوم، أنتبـه الربّـان لنفسـه بعـد مشـادة ليليـة بـين الـزوجين، تقـدم مـن العمّـال النـائمين وراح يجـس نبضـهم قبـل أن يهتـدي لمـن قلبـه أشد نبضاً.

تقول الحكاية أنه أتى بمقص وقص جهة من شاربي الفاعل، كي يتمكن من معاقبته نهاراً.

بيد أن(المتنائم)كان أكثر دهاء وفطنة، أتى بمقص وقص شوارب رفاقه.

في الصباح ضاع(الخيط والعصفور)كما يذهب المثل على الربّان.

ما أشبه حالنا اليوم بتلك الحكاية، تحديداً تلك الصفوة التي أهلتها الظروف كي تكون في موقع المسؤولية، يدعون بجهر القول أنهم يمتلكون زمام الأمور، وما يجري في الخفاء من ذبح علني وتهجير قسري رهن إشارتهم، لهم تأثيرات مركزية وفاعلة على خطط وتوجهات المسلحين، زد على ذلك منهم من يعلن بإمكانه أن يجعل دماء العراقيين أن تجري كالأنهار لو لم تستجب الكتل السياسية والبرلمانية لمطاليب حزبه، هؤلاء يشتغلون باتجاهين متضادين، ويكيلون بمكيالين، هم الحراس وهم(الحرامية)، هم يطفئون النار بيد وهم يلقون الحطب باليد الثانية، يقيناً لا خير يرتجى منهم إن تمكنوا من الوصول إلى مواقع مهمة في سلّم السيادة الوطنية، طالما(الحس الوطني) معدوم في هذه المرحلة الحرجة ورغبات الشعب ليس من أولوياتهم المهنية، منشغلون بأقصى ما يمتلكون من حرص وعناد كي يدقوا إسفين المحاصصة في جسد البلد، هؤلاء يعلنون عن أنفسهم بكل وضوح كونهم محصنون من مخالب القانون،

وربما بسبب أصواتهم العالية فرضوا شيئاً من الرهبة لدى الباحثون عن الحلول السلمية السليمة، مستغلون حكمة وفطنة الكيانات السياسية الهادئة والمحبة للسلام والتآخي وحقن الدماء والتي(طوّلت من خلكها)كي تمهلهم المزيد من الوقت آملين أن تتهيأ فرص مناسبة لتحقيق الهدف الأسمى هو الوحدة الوطنية وسيادة دولة القانون وتبسيط نفوذ مؤسسات المجتمع المدني كي يجني كل فرد ثمرة كفاحه وصبره.

بسببهم تعطلت عجلة السيادة عن السير وتوقف قطار أعمار البلد وفقدان مصل العافية لإنقاذ المجتمع من مثلبة الخراب، كونهم نقلوا معارك اللسان إلى(قلب)البرلمان أو على أدق تعبير (رئة) العراق الجديد، هؤلاء القلة فعلت مثلما نقل ذلك الجاني على ظهر الباخرة تهمته ووزعها على زملائه وأضاع بشيطنته حق الربّان في القصاص منه، ما أشبه مضمون تلك الحكاية بما يجري اليوم في بلادنا، اتهامات متبادلة ومتناقضة بين الكتل البرلمانية والكيانات السياسية والمحافل المذهبية والتجمعات العرقية، في محاولة خلط الأوراق وضياع خيط الحلول كلما بان رأسه.

جراء المناوشات الكلامية ضاع المصير أو تأخر لوقت غير معلوم، وما عدنا نعرف من يقف وراء قتل(الشيعي والسنّي) بعدما كانا يد واحدة تحمل راية

بـلاد واحـدة ويتجهـان فـي وقـت واحـد باتجـاه ثـاني القبلتـين وأوّل الحـرمين كـي يـؤدوا الشـكر والصـلاة ويدعوا دعاءا واحداً في قنوتهمك

((اللهم أرفع هذه الغمَّة عن هذه الأمَّة))

أنَّ ما يجري واضح وصريح من غير الحاجة إلـى تشكيل لجان تقصي الحقائق أو نصب عيون للتربص والتلصـص مـن أجـل الوصـول إلـى ممـولي ومغـذي الرهانات الخاسرة ونـافخي أبواق التفرقة بين أطيـاف شــعب متكــاتفنتعلّم أن لا يعــيش إلاً عــيش الــورود المتجانسة في حديقة الحياة.

يقول إسماعيل بيشكجي:

[إذا أردت أن تجعـل شــعباً تائهــاً، فــأتلف تاريخــه وتراثه]

رب نافعة ضارة أيضاً

ما من أحد ينكر دور العلم في دفع عجلة الحياة خطوات صوب الرقي، شريطة التعامل بعقلانية مع المستجدات الخادمة للبشر، فالكأس يمكن استخدامها لشرب الحلال والحرام، هكذا وصفوا جهاز التلفاز يوم رفعت أسطح منازلنا رايته، دفعاً لمشكوكيته وتبرئته من شيطانيته، فيه ما يفيد المجتمع وفيه ما يدفعه صوب المهاوي، كم من بشر مات بالكهرباء وكم سحقته عجلات أو صدام المركبات أو غرق مع السفينة التي تحمله وكم هوت بهم الطائرات من شاهق السماء.

صحيح أننا تأخرنا خطوات غير معقولة عن ركب العالم نتيجة ظروف قاهرة حالت دون تقدمنا، أقساها انشغالنا الدائم بالتغني بالأمجاد الزائفة ورفع سيف القبلية بحثاً عن عدو ملائم كي نصبغ أيامنا بالدم والتهريج ، بات علينا اللجوء إلى(ورقة جوكر)كي نحقق طفرة ونكون على أقل تقدير قريباً من الذين سبقونا، لكن ما داهمتنا من وسائل تحديث في مناحي العلم باتت تشكل معرقلات قاتلة بقدر ما هي خادمة، ساهمت في وضح النهار على تدميرنا، بعدما أرقتنا الأحلام ونحن ننتظر زوال التابوهات وفك المخالب

المانعة لننعم بما وصلت إليه الدول من وسائل ترفيه، ومن هذه الوسائل التي أغرقت حياتنا وباتت تسهم في عملية تسهيل قتلنا.

أربع وسائل فرحنا بها أيما فرح لكنها أغرقتنا في بحار من الحزن والندم.

(أ)..السنترلايت

حرمنا من ثقافات العالم لسنوات ليست قليلة، كان العالم يتلاقح ثقافياً عبر الفضائيات، ويوم حصل التغير في المعايير السياسية في بلادنا، فرحنا بعدما زحفت صحون شركات كانت تترصد الحدث، صارت أسطح منازلنا تبرز هذه الصحون العجيبة والتي تلملم العالم دفعة واحدة، لكن المصيبة أننا جهلنا أن هناك من أنتهز الفرصة وتسلل إلى آتون هذا العالم العجيب، صارت العدسات المضادة تتسقط أخبارنا وتشحن أصحاب الإرادات الشريرة بوقود التطرف، حتى وجدنا أن ما يقوم به قاتل مأجور في ركن من أركان بلدنا يستلمه آخر في ركن قصي مقلداً بعدما أستلم الوسيلة عبر الفضائيات وراح يضيف خراباً على خراب.

صارت الفضائيات تعج بخطابات مدسوسة بطريقة ماكرة لدفع عجلة الشر وحصد أرواح الأبرياء، لقد ساهمت عملية نقل الأخبار والحوادث كخطوة لفرض المصداقية بين الحكومة والشعب إلى ضخ وقود التطرف عند شريحة ضالة تبحث عن البطولات

الرومانسية على حساب الآخرين، فمجيء(الصحون)بقدر ما منحنا من فرحٍ غامر، ساهم بشكلٍ أو بآخر في تحطيم نفوس وبث الخوف وزعزعة مكامن الثقة بين الناس على عكس ما كان مأمولاً منه.

(ب)الهاتف المحمول

لكم هو رائع وممتع أن تضغط أزرار جهاز بحجم الكف بأناملك لتحاور من تريد بعيداً عن خدمات الهاتف السلكي الذي ظل عاجزاً عن تلبية حاجاتنا في سنوات الألم والضياع، تريد أخبار زوجتك عن سبب تأخرك أو تود إعلامها أنك في الطريق، ترسل رسالة موجزة لصديق، بيد أن الفرح بقدوم هذا الجهاز أنقلب إلى مأتم يومي، مرة أخرى وجد القاتل المأجور وسيلة تساعده في رصد تحركات من وجده هدفاً لشره، صار وسيلة لتفجير عجلة أو وسيلة سريعة لنقل خبر مع صورة مباشرة عن تحركات أبنائنا لتتهيأ أرهط شريرة وتقطع عليهم الطريق لنحرهم.

فرح آخر ناصفنا الشر بقدومه.

(ج)مركبات المنيفيست

سنوات علقم، ليس بوسع أحدنا أن يقتني سيارة، كون الحروب المتتابعة دفعت بلادنا صوب إفلاس تام أغرقتها تحت وزر ديون لا ترحم، كنا نحسد دول الجوار، كونهم يشترون المركبات من أسواق مثلما يقتنون أجهزة كهربائية، سرعان ما نهضنا من صدمة الحرب ووارينا زمن العبودية لنكتشف أننا

صـرنا مثـل العـالم، بإمكـان أحـدنا أن يشـتري سـيارة مسـتوردة دون اللجـوء إلـى الشـركة العامـة للسـيارات وانتظـار عشـرات السـنين بعـد دفـع القسـط القاصـم للظهر.

لكـن هـذه المركبـات التـي زحفـت لتغـرق شـوارعنا وتحدث أزمة وقود غير مسبوقة من جهة، ومن جهة أصـبحت وسـائل نقـل المـأجورين، واسـتخدامها آليـات في هجماتهم على أهدافهم، بل صارت حاضنات موت بعد تفخيخها بكميات بلا ذمة أو ضمير من المفرقعات وأصـابع الـديناميت وحتـى الصـواريخ التـي هجرهـا جيشنا يوم الفرار العظيم.

مـرة أخـرى وجـد القاتـل المـأجور أحـد أحلامنـا المؤجلة وسيلة خادمة لتخريب فرحنا.

(د)شبكة الإنترنت

بفـارغ الصـبر وبمزيـد مـن الغصـص والمـرارة كنـا نحسـد العـالم كونـه صـار يجلـس علـى كرسـي ويلـف ويـدور متجـولاً ومتصـفحاً ونـاهلاً مـا يرغـب، يرسـل ويستلم عبـر البريـد الإلكترونـي رسـائل خـلال دقـائق، وكنـا عبثـاً نلهـث بحثـاً عـن مصـادر لدراسـاتنا وترقيـة ثقافاتنا، أو تغذية مواهبنا بوقود عالمية.

بينمـا العـالم يجلـس وتزحـف إليـه مـن كـل حـدب وصـوب كنـوز معرفيـة، عبـر أزرار تقلـب أحشـاء

الجغرافيـة والتـأريخ، حتـى وصـل التعريـف المناسـب والـدقيق لهـذه المنظومـة السـاحرة أن العـالم بـات اليـوم قرية صغيرة، لكن القاتل المأجور وجد فرصـة مثاليـة لعرض عمليات النحر والتعذيب ونشر أمـراض سلفية لتغريـر أصـحاب العقـول المفككـة أو النفـوس الضـالة، صـارت الطـوابير تبحـث عـن مـواقعهم وتلـوّث نفسـها بنتانة وقبح القاتل المأجور.

فرحنا بقدومـه لكـن قدومـه صـار وليمـة ملائمـة لبـث شرور الأشرار.

وجهة نظر لكاتب السطور:

[ماضـينا خلايـا نائمـة تسـتيقظ سـلباً أو إيجابـاً حسـب نوعية الظروف]

هل حقاً كاد أن يكون رسولا

جميل جداً حين تتراص صفوف أجساد فتيـة مترعـة بـالأحلام والوعـود وتسـري فـي عـروقهم دمـاء رغبـة وأماني تلتمس أول الطريق نحو قلب الحياة.

صفوف براعم بريئة تقف شامخة بسلطة نظام تربوي راسخ وعفوية انتماء لأرضٍ منحتهم هويتها من غير طلبات لجوء.

تهدر حناجرهم الصافية من غير حشرجات ألم أو هاجس اليأس بلحن مثير ومحرّك لخلجات الضمير.

تعبير صادق وبلا تكليف عن لحظة سامية من لحظات الوحدة والإصرار والتحدي والتطلع لمستقبل واضح المعالم.

وجوه خاشعة تلمع باليقين والرغبة لمواصلة الكفاح والتضحية بالغالي والنفيس من أجل تحيق هدف مستقبلي شخصي بطبيعة الحال هو هدف بلاد تنشد الشموخ.

أجساد تهتز من هول الحب وسلطة البراءة.

علمٌ يخفق بحرية في علياء سماء لا بد أنها ستسترد عافيتها ولو بعد حين، ستنجلي منها غبرة الكبوة وثقل الغيوم العاطلة عن زخ الرحمة والخير الوفير.

تلك هي رسالة النشيد ومراسيم رفع العلم (الخميسي) لمدارسنا، عربي وكردي وتركماني وكلدوآشوري، ألسنة تتحد لتغرد بصوت هادر لـ(عراق)سالم من أمراض العصور.

كيف نفسر حالة عدم الحضور إلى الدوام أو جلوس الكثير من المدرسين والمدرسات أو المعلمين والمعلمات في العديد من الأرياف والمدن داخل

غرفهم وهم يطلقون القهقهات جراء ظاهرة (الشقة) أو طرح الآراء والنقاشات غير المجدية بخصوص الوزير المستحق والوزير الذي ربما سيزيد الرواتب وإكراميات العيد، أو سرد قصة الوقوف في(سرة) للحصول على لترات من البنزين لسيارته.

ظواهر حياتية تفشت بشكل لا يطاق وبدأت تحدث تفرقات في وجهات النظر لا يجب أن ترافق الموظف والمعلم إلى مكان عمله.

ظاهرة تفشت هذه الأيام داخل المدارس تحديداً أثناء أداء تحية العلم، أليس هذا في علم الأخلاق الوظيفي خرق تربوي واضح وفاضح لا يليق بمستقبل براعم زحفت لتستقي العلم زقاً.

كيف ينظر التلميذ أو تنظر التلميذة إلى هذه الرسل الهادية للعلم، وهي لا تقف احتراماً لبيرق بلاد أنجبتهم ورعرعتهم وحمّلتهم أمانة تراثها ومستقبل علمها.

كيف يكونون هم حين تدور عجلة الحياة وينالوا استحقاقاتهم العلمية بعد سنوات من مرارة الصبر وتحديات فقدان الأمن والكهرباء ونقص في المستلزمات المدرسية وعدم تطبيق برنامج التغذية المدرسية؟

ناهيك عن ضعف المواهب التدريسية وانعدام تام للحرص الذاتي والمهني لمتابعة كل ما هو جديد في علم التدريس وأساليبه رغم قربها وفي متناول اليد

جراء دخول شبكة الأخطبوط (الإنترنت) إلى كل زقاق وبيت.

كيف يكونون هم(الطلبة والطالبات) حين يستلموا المهمة الخلاقة - بعد نيل شهاداتهم - لأعداد الأمم التالية؟

أليس من الواجب التوقف قليلاً عند هذه الظاهرة الحسَّاسة والحيوية لتفعيل وبلورة وعي البراعم المجتمعي وتأهيلها للمواطنة الصالحة والنافعة لبلاده.

أليس من الواجب دراسة أسبابها وتوجيه تعليمات لا تقبل المجاملة والتفوه بأعذار تهدم لا تخدم البناء التربوي للإنسان، عبر وسائل الأعلام السمعية والبصرية والمقروءة إلى الكادر التدريسي ومحاسبة مدراء المدارس كونهم حاملوا أمانة ومسؤولية تربوية ثقيلة الأثر.

نناشد(وزارة التربية) وعبر قنواتها (المديريات العامة)في المحافظات ضرورة التحرك من الآن طالما العلم (العراقي) سينال إجازة صيفية مع أحبائه الطلاب بعد موسم حافل بسخونة الأحداث، التحرك المبكر لوضع التوجيهات بعد مدارسة واحتواء ما مضى، يقود إلى فكر سليم وقرارات صائبة لاستقبال العام القادم.

نجد أن من الضرورة الحتمية توجيه المشرفين التربويين لمتابعة هذا الجانب المهم من حياة

التلاميذ، كونها جزء حاسم من بناء حياته وثقافته الوطنية.

ربما نجد أن التكليف الرسمي لكادر تدريسي بالمهمة مطلب معقول وغير مكلف، طالما الكوادر التدريسية اليوم في كل مدرسة تجاوزت الحد الأعلى للملاكات بمرات ومرات.

أليس - نشيد يوم الخميس - يستحق منا مراقبة وقليل من التضحية جراء الفتور الحاصل في أهم مؤسسة لبناء الحياة، بدءً بتهالك البنايات وتكسر زجاج النوافذ والرحلات المحطمة والسبورات القديمة ومازال (طوز الطباشر) يلعب لعب في فضاء الصفوف وإثارة الأنوف.

فنشيدنا الخالد(يا من يهمه الأمر)أيام(الخميس)بات مثل بلبل في قفص مهيض الجنحين، ليس له دوافع أو رغبة للتغريد.

لابد من وقفة لإسعافه وبث الروح الحماسية لنغماته، كي يكون كتاب حياة وميلاد حقيقي لأجيال قادمة لا تتنازل عن ثقافة ماضيها رغم المتغيرات الممكنة في مناحي الحياة في قوادم السنين.

أم يا ترى يا حكومة..

يا وزارة التربية والتعليم..

ويا عالم..

أن أمير الشعراء (أحمد شوقي)كان واهماً في قولته الشهيرة:

[كاد المعلم أن يكون رسولاً]

لا تلعنوا آب رجاء

تخلصنا من شهر (آب) عز الصيف مثلما (شباط)عز الشتاء.

صحيح هو(من أقسى الشهور)، كما يصفه شاعر القضية الفلسطينية(محمود درويش)مستعيراً البيت من قصيدة (إليوت) (الأرض الخراب)لحدث يتعلق به أو بشعبه.

هذا الـ(آب) يطوي بين دفتي كتابه لاهب حرارة تمزق أعصاب الواحد منّا وخانق رطوبة تشردنا نحو الأنهر بحثاً عن متنفسٍ لترطيب أجسادنا.

ومن حق كل فرد أن يمقت أو ينحاز إلى شهرٍ ما من أشهر السنة والتي فقدت رونقها وتمزقت أثوابها ومضت تتجرد من صفاتها المقرورة جراء ما يحصل من تدمير متواصل لبنية الطقوس على أيدي باحثين أو عابثين بالثوابت الوجودية.

لقد نشأنا على فطرة أن (الطماطم) منزله الصيف، قبل أن يبادر صاحب فكرة ويزرعها في عز(الشتاء)غير آبها بتبدل طعمها وقيمتها الغذائية وما مدى استفادة الأجسام منها وهكذا بقيّة الأصناف

الأخر من المزروعات.

والشتاء لم يعد كما كنّا نعرف، تجرد من أمطاره جراء البخل المتنامي أو تطليق واحدة من أهم الركائز التي بني عليها خماسية الإسلام(الزكاة) من قبل شرائح غنية وفلاحون انشغلوا بتطاول في البنيان، أو قيام صاحب فلتة عقل بصناعة أمطار صناعية ترشها طائرات في أي وقت يراد.

من حق كل إنسان أن يفضل شهراً على حساب الأشهر الأخرى، يتعلق الأمر بذكريات سعيدة ومواقف مفرحة وحظوظ متباينة، ومن حقه أن يمقت شهراً من بين الشهور كونه حاضنة مأساة لا تنسى.

لكن الشهر(آب) الذي رحل عنّا مخلفاً دماراً وموتاً بسبب تصاعد حدة التوتر بين أطياف الشعب من جهة أو ارتفاع أسعار الثلج بسبب غيّاب الكهرباء عن ثلاجات المنازل، الأمر الذي دفع الناس أن تقلب تلك المقولة الشائعة والتي تخص إنضاج التمور.

ربما (اللبنانيون) أوفر وأحدث حظاً من(المصريين)بخصوص هذا الشهر، سيستذكرونه خيراً وربما احتفالاً كلما يعود كونه وضع أو أحتفظ بيوم وقف نزيف الموت والخراب الذي صبته جحيم الحرب (السادسة) على ربوع مدنهم.

أمّا (المصريّون) ودعوه بتوديع أبو الرواية العربية(نجيب محفوظ).

وفي العراق ودعنا عرّاب المسرح(محي الدين زنكنة).

هذا الشهر لا أعرف من قام بتقسيمه إلى ثلاثة منازل أو على أصح تعبير ثلاث عشرات، ناسياً(الواحد والثلاثين لبعض أشهر السنة.

العشرة الأولى:

((يحرق المسمار في الباب))

العشرة الثانية:

((يقلل الأعناب ويكثر الأرطاب))

العشرة الثالثة:

((يفتح من الشتاء باب))

لكن(آب) ربما يشكل لدى البعض مفردة مفرحة، كونه يعني (العودة) لعزيز غيبته السجون لسنوات أو شردته المنافي جراء الوضع السابق أو عودة أخ أو أبن أو أب أو زوج من أسر حرب السنوات الثمان.

وربما المفردة أقرب إلى الذهن من كلمة(أب)عند الأطفال الذين يتمتهم سياسة البلاد المتواصلة مذ فجر الحضارة وإلى ما يشاء الله.

هذا الشهر كلما يحل ساحلاً معه قسوته، يستذكره العراقيون بألم لا ينتهي، فيه تدحرج مصير البلاد إلى الهاوية يوم تم غزو الكويت، تحديداً في الثاني منه، كون ذلك الغزو أحدث اختلالاً في معايير عقول الساسة وتبدلاً جوهرياً في موازين المصالح الخاصة على حساب الشعوب وأحلامها، الأمر الذي دحرجنا

نحو ما آل إليه مصيرنا، وما ترتبت من تداعيات وتصدعات في حياتنا الماثلة.

ربما في شهر(آب)مصيبة مصائبنا رغم أن هذا الشهر يحمل لنا في كتابه يوماً جميلاً خص العراقيون أجمعين، انتظروه ثمان سنوات حافلة بالموت والدمار، قبل أن تحط الحرب أوزارها مع الجارة (إيران)، ثلاثة أيام سهرنا ورقصنا فرحاً لوقف نزيف الدم العراقي.

ما بين الحدثين ينقسم الناس حول(آب)الذي حمل لنا في الحادي عشر من العام **1999**أجمل وأطول(كسوف)شغل أعين العالم بأسره.

منهم من يراه قرب التخلص من وجع رأس(الكهرباء)ولم يعد هناك حاجة لـ(لثلج)بمجرد هبوب نسمات الشتاء الأولى.

منهم من يتأفف لقرب بدء الدوام المدرسي في وقت باتت أجور النقل بين المدن القريبة تضاهي أسعار النقل إلى دول(سوريا والأردن)قبل زوبعة التغيير.

يا عباد الله لا تلعنوا هذا الشهر.

لابد أنه عائد ومن يدري ربما في أوبته الدورية القادمة سيحمل لنا في كتابه بشارة الفرح الكبير وبدأ تطبيق بنود ميثاق الشرف بين كياناتنا السياسية المتحاربة.

بدأ حملات التعمير لما تم تدميره.

والأهم من ذلك أننا نكتشف بين إغماض جفن وفتحه أننا صرنا نسافر في أي وقت نشاء وننام ليلاً في أي رقعة من بلادنا من غير الحاجة إلى توفير الحماية أو حمل السلاح.

يقول نيتشه:

[الإنسان كائن سائر على حبل مشدود فوق هاوية]

بلاد تائهة

قيل أن أساس وقوة تقدم كل بلد وسر نجاحه أو تمركزه مع بلدان الحاضرة يرجع لسبب وجيه هو قوة

مواصلاته، كون المواصلات عصب الحياة المدينية المتقدمة، والمتمثلة بخطوط سكة الحديد المتوزعة من مركز العاصمة وحتى التشعبات القصية لأريافه، أو الشوارع السريعة محكمة التبليط والتي تشبه إلى حدٍ ما توزع الأوردة والشرايين الدموية في جسد الإنسان من القلب وحتى قمة الرأس وأخمص القدمين وتوقف أي شريان أو وريد يحدث شللاً ما في جزء من الجسد.

كذلك البلد حين يتوقف فيه عصب خدمي يغدو مشلولاً.

بسبب تعاقب كوابيس سياسية رعوية على بلدنا حرمنا من هذه النعم، والعجيب في الأمر أننا لم نتأثر بذلك، كون البدائل دائماً وأبداً تستحدثها الضرورة ـ لقوّة العقل العراقي وتشبثه بالحياة ـ وهي في حكم الواقع متوفرة.

***

ربما سيادة دولة القانون من أساسيات التطور الاجتماعي والحضاري كون القانون يحدد واجبات الفرد ويؤمن حريته ويحقق له استحقاقاته، خصوصاً بعد انسلاخ السلطة القضائية من مخالب السلطة السياسية الحاكمة ليكون القانون خارج إرادة الساسة وتدخلاتهم المزاجية للّعب بأوراقه كما يشتهون.

ما يلفت النظر ويجذب الغضب هو ما يطفح على سطح الواقع من خروقات تنافي أخلاقياتنا وتطرح

الكثير من الاستفهام حول مصير واقع حالنا المتردي وعدم تدخل أصحاب العلاقة رغم تعكزهم على مبررات قانونية ووجود حماية لهم.

قد لا نجد أصحاب السيادة لديهم من الوقت الفائض للتوقف على ما تبرز وبشكل متواصل من(منافيات) تغدو بمرور الوقت سدود عاثرة في قوادم الأيام، فهم في حرب مع الزمن، مستنفرون كي يمسكوا بخيط مصيرنا السياسي، هاملين الخصوصيات الفردية المستحدثة كون القانون سلموه لأصحابه الشرعيين وهم بطبيعة الحال ما يزالون يترقبون المستقبل وما ستسفر عنها قوادم الأيام من استحقاقات الكيانات السياسية الرابحة، وحقائب كيانات الظل، قبل أن تمتد أيديهم لتقليب صفحاته وتطبيق بنوده على من يقع فريسة أو يسقطه جهله إن لم نقل عناده تحت عجلاته الساحقة.

القانون كتاب حيوي.

كتاب ذو مخالب ـ لا ترحم ـ راقد على رف مهمل، حين يستفيق من سباته وينفض عن بنوده غبار التهميش سيسحق كل مستأسد أو عارض يجترح حدود سيادة البلد وأمن مجتمعه، ولكن إرجاء التطبيق الفعلي في هذه المرحلة الغائمة للقوانين ستشجع الكثير ممن تخثر عقله أو سبت على السير في مسالك مجهولة وتمنح فرص ملائمة للتجاوزات على حساب الآخرين.

وحين يأتي اليوم الموعود سنجد أنفسنا أمام مشكلات عسيرة التعامل معها، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أننا خرجنا في التو من آتون مرعب بعد نضال مرير.

سيجابه القانون شرائح من المجتمع بسبب ضبابية الجو وجدت نفسها تائهة في مسارات وجدتها خادمة لها أوان الفوضى، شرائح تجاوزت على الحق العام وغرقت فيه، لابد من اللجوء إلى مطلب التعويض كحل ملائم يناسب المرحلة من جهة ومن جهة ثانية بغية عدم مس أي فرد بضر أو فتح ثغرات جديدة للألم.

لابد من توفير مطالب العيش الرئيسة من سكن وفرص عمل وحماية، قبل تطبيق حذافير القانون بعد قيام الدولة على ساقين من حديد.

***

ربما تجاوزنا أو تعلمنا فك الاختناقات المرورية باللجوء إلى الأزقة ومسالك وعرة وضرب الأرصفة لعبور السيطرات المزاجية.

لكن ثمة مشاكل تحتاج لتوعية أكثر مما تحاج إلى تخليق أزمات، وهناك فرص متوفرة لمعالجة التسيب الحاصل طالما هذه التجاوزات تتوزع بين وزارات لم تنشغل كوادرها بمعمعة الوضع الأمني.

وليس مقالنا هذا سوى رؤية قابلة لتسقيط أو تسليط عدسات أُخَر على جوانب مماثلة تمس حياتنا

في راهنها وقوادمها، ومن الممكن التسرع بإجراءات قد لا تكلف كثيراً لو قامت الجهات ذات العلاقة بوضع خطط مدروسة وحل الإشكاليات الحاصلة قبل استفحالها.

لنحصِ القليل منها لأهميتها وكونها تتعلق بحياة الفرد وثقافته وصحته، جمالية المكان ودوره في عكس الوعي الحضاري للبلد.

1- أطباء بلا بورد

البلاد بحاجة إلى مراكز صحية تحديداً في هذه المرحلة، كوننا نستقبل تيارات أمراض وجدتنا أجساد مؤهلة للحضانة والتناسل بسبب وضعنا النفسي المتراخي، بل يزيد الطين بلّة حساسيتنا المزمنة جرّاء ما يجري ليس أمام العين فحسب بل تلك المشاهد المؤلمة والتي تعرضها القنوات الفضائية من موت مروّع وعلى الهواء الطلق ناسفين أخلاقيات المهنة وسياسة التعامل الفلسفي والثقافي مع ما يجري على أرض الواقع وما ينسجم مع الذوق العام.

صار القلق عنواناً لكل أزمة وافدة، لكن هل يسمح أن تتشعب المراكز الصحية إلى متاهات ومتاجرات بأرواح الناس على أيدي شريحة وجدت الشعب العليل بنك نقود.

صحيح أن الوضع المعيشي عسير ومتردي، لكن ليس للحد الذي يجعل كل من هب ودب، أن يكون

طبيباً لمعالجة الناس وتخليصهم من مستحدثات الزمن.

أينما تكن هناك مجموعة بيوتات وشوارع تجارية، ستقيم غرف بعضها كانت بيوت تم استغلال(نوم القانون)وتمفصلت إلى ردهات على أيدي جموع من غير إجازات رسمية أو شهادات تم صياغتها بطرق ملتوية.

نجد أن الغرف قذرة، رطبة، عطنة، بلا تبريد طبعاً، تتلاعب الفئران والصراصير كما تحب وتشتهي، تتشابك خيوط العناكب وهي تراقص مخلفات ذباب متيبسة، أثاث عفن، دواء من غير ترخيص، ماء آسن، وهواء راكد، بين عشية ليلة وضحاها أصبحوا(أطباء)بلا بورد، هم يشخصون ـ بيقين ثابت ـ تلاوين الأمراض مهما كانت مسمياتها، يصرفون وفق مزاجهم الدواء، لا بل لديهم في مدارج(وسخة)كل أنواع العقاقير، فهم في الوقت الراهن أطباء وصيدلانيين وزارقوا أبر، ليس ذلك فحسب، تجد(المغذي)معلقاً بقضبان نوافذ انتفت الحاجة إلى الزجاج كونه عرضة للتهشيم جراء الانفجارات والإطلاقات العشوائية، نوافذ درفاتها أوراق كراتين، يضخ المغذي(الماء المقطر)إلى عليل يتمدد على سرير أو أريكة سيئة الفراش، وحوله جيش ذباب وتحت رحمة الظلام طبعاً، هناك في تلك المنزويات يقيم بعضهم عمليات(صغرى)بلا تردد أو

ارتداء بدلة بيضاء ولبس كفوف نايلون.

يا ترى من المسؤول عن مراقبة صحة المجتمع ومن يراقب تفشي هذه الظاهرة ومن المسئول عن فحص الشهادات والإجازات الرسمية الممنوحة في ذلك العهد القديم الذي ولى من غير رجعة.

صحيح أن الأطباء هم السبب كونهم يرفعون سعر (الكشفية) كلما شح البنزين أو ارتفعت أسعار الفواكه والخضر، وأن أصحاب العيادات الجانبية يعالجون من غير دفع (الكشفية) وأن أسعار أدويتهم تقل بكثير أسعارها في الصيدليات التي لم تعد(خافرة)كما كانت.

يا ترى لم لا تقوم الجهات المتخصصة ببناء مجمعات صحية تجارية أو تمنح تسهيلات لمجاميع من الأطباء لبناء مجمع يجمع معظم الاختصاصات وفق خرائط تليق بالمهنة المقدسة، كواجهة حضارية من جهة ومن جهة ثانية رصد الخروقات ومراقبة المتطفلين والمتاجرين بأرواح الناس من أجل كسب مال سهل المنال.

2- ذبائح الشوارع والطرقات

قديماً كان يعرف كل متبضع أو متبضعة أين هم القصّابون، في ركن نظيف تتراص الدكاكين وهي تبرز الكاشي المرمري ناصع البياض وتتدلى اللحوم الممهورة بختم الرقابة الصحية، مع وجود زيارات متكررة من قبل لجان صحية تحاسب بضميرها.

اليوم ترك كل قصّاب مكانه المخصص ولجأ إلى

مكان يعج بالناس، كون أمكنتهم باتت بعيدة ووجود بدائل طالما اللحم واحد والسعر متفاوت.

أينما تتزاحم الأكتاف وفي أي سوق كان، في الطرقات الرئيسة، في رأس كل(دربونة)تستقيم أكواخ من قصب أو صفائح ويقف عمود خشبي(قذر)لجندلة أغنام وأبقار وماعز عليلة أو مجهولة المصدر، ينام بظله قطط وكلاب سمنت (وتبربعت) ناهيك عن جيوش الذباب والزنابير، كل صباح يأتي صبيان (لم يكملوا دينهم) بملابس لا تليق بالمهنة، يتمنطقون أحزمة عريضة تتدلى منها سكاكين وسواطير ومبارد (مزنجرة)، ينحرون ذبيحة أو ذبيحتان حسب متطلبات الصرف بلا تكلفة ألسنتهم ترديد(أسم الله)على الحلال لتحليله على المستهلكين، سرعان ما تندلق أحشاء وحوايا لتعج المكان برائحة الفساد، (كوارع) و(كروش) مطروحة على أرصفة الشوارع، ليس من أثر لمعالم صحية، والغريب في الأمر هو قبول الناس بالأمر الواقع والشراء برغبة، طالما المثل((عند البطون تعمى العيون)) ما زال ساري المفعول و(بسم الله)يطهر كل شيء.

لا أحد يعرف حال الذبيحة قبل نحرها، أكانت عليلة أم (فطيسة) من أجاز ذبحها لتتقوت بها الناس.

ياترى لم لا تعاد النظر في هذه القضية المتعلقة بصحة الإنسان وتلويث بيئته وتقام أماكن مخصصة كما كانت سابقاً للقصّابين.

أيـن لجـان الرقابـة الصـحية وأيـن كفـاحهم البيئـي للمحافظة على صحة مجتمعهم؟

3- معارض على أعصاب الناس

يبدو أن الديمقراطية سلاح ذي حدين، طالما الحد الأمين غائب أو مغيّب لأسباب سياسية بحتة، صار الحد القاتل هو في متناول اليد، طالما الفرصة مناسبة وهي بالتالي تجلب المال بلا تعب.

كيف نفسر حال(معارض السيارات)المنتشرة في الأسواق والشوارع وكل منعطف استولى عليه صاحب يد طويلة وسيجها تحت ذريعة(مشروع خدمي).

صارت شوارعنا تغص بالمركبات المستوردة، تؤرق سير السابلة، كون المركبات متراصة على الأرصفة وداخل حوض الشارع.

ترى أين هو دور رجال البلدية؟

من المسؤول عن منحهم إجازات بيع المركبات في وقت غير مرغوب به لعدم وجود تطبيق فعلي وعملي للقوانين المرورية؟

لم لا تكون المعارض خارج حدود التجمعات السكانية والأسواق الشعبية، كي تخلو الشوارع للسابلة وننجو من معمعة الاختناقات المرورية المتأزمة.

4- تجاوزات..تجاوزات

نـاس بنـوا بيوتـاً علـى أراضٍ هـي مـن عائـديات الدولة، أملاك تعود لمعظم الوزارات، كالدفاع والسكك والبلـديات والأوقـاف والماليـة، سـحبوا الكهربـاء وفـق رغبـاتهم بـلا مقـاييس طبعـاً، وتـم اسـتخدام قـابلوات خارجـة عـن السـياقات المتعلقـة بحسـابات الطاقـة، بـل مـدوا خـراطيم ميـاه فـوق العـادة، إذ كـان المسـموح بـه هو نصف أنج سابقاً، نجد أن أرهطاً من الناس بدأت تمد(أبو الأنج) كي يحصل على أكبر كمية من الماء، ولسان حاله يزفر ((ليذهب الجار إلى النار)) حتى أنهم حفروا سواء كانت شوارع أو ساحات بحثاً عن الـ(أنبوب رئيسي) ويثقبون بالـ(دريل)أنبوب الشبكة لأحداث ثقب وربط (قفيص) تم تحويره إلى ما يرغب مـن (أنجـات) ولا أحـد بوسـعه أن يحـرك سـاكناً لمقتضيات مصلحة الآخرين.

ضعف الماء وضعفت الكهرباء، وتهالكت الشوارع والطرقـات، والجهـات ذات العلاقـة تنظـر بعـين وتتغاضى بعين خوفاً أو مرتشيين.

العجيـب فـي الأمـر أن أصـحاب قـراءة المقـاييس، المـاء والكهربـاء، يأخذون(الجبايـة) مـن هـذا ولا يأخذون من هذا، حتى شاع على ألسنة الناس:

واحـد يعـيش فـي بلـده بفلـوس وواحـد يعـيش بـ(بلاش).

5- ما يتعلق بالمركبات

بين دكاكين المخضر والقصابين وأصحاب المواد الغذائية، نجد دكاكين تتخصص بالأدوات الاحتياطية للسيارات، دكاكين لتبديل الدهن والـ(البنجرجية)والسمكرة، تتشظى شرر النيران من الـ(ولدنات)، ضربات المطارق تهوى بلا رحمة على هياكل أصبحت خارج الخدمة، بحثاً عن أيام أُخَر للعمر، من أجل هدف واحد، هو شد خزان (محوّر) أسفل المركبة للحصول على كمية وافرة من مادة البنزين.

تتداخل الكوميديا بين مآسي وملاهي.

وحده الإنسان يدفع من عمره فاتورة غالية، يحرق أعصابه وهو يزيد من مساحة أمله، كي يفيق القانون من سباته ويبدأ برحلة حصاد السعادة للصابرين و((الكاظمين الغيظ))في بلاد أرخت حبل النهوض من كبوتها لأمد ربما ليس بقريب.

يقول داريو فو(فنان مسرحي إيطالي):

[الحقيقة دائماً جارحة ودائماً ثورية]

بين دمعة أحمد خلف ودمعة حسين نعمة
دمعة كاذبة

الدمع لا يهبط إلاً بوجود جوٍ محموم، جو يتساوى بين نقيضين، حزن جارف أو فرح غامر.

الحزن والفرح حالتان ليستا استثنائية بطبيعة الحال، كون الموازين الحياتية تتكون من ولادة ورحيل، وما بينهما رحلة توافق نقيضين لابد منها، ولادة تجلب نماء وبهجة وتواصل، ورحيل يرافقه ألم وندم وحسرة.

كلتا الحالتان لهما وسيلة واحدة رادعة، تزيل كابوس اللحظة أو صعق الصدمة، زخات ماء تتدفق من أعماق الجسد وعبر المآقي، تطفأ النيران المتأججة.

الفرح يبكي ويستدر الدمع أيضاً مثلما يحدث الحزن.

لا نريد الغور في موضوع شائك ومتشعب، قدر تعلق المقال بحالات قد تبدو عابرة، بيد أنها تخفي أو تطوي في قطرة أو بضع قطرات من هذا الجليد المذاب تواريخ حافلة بالتضحيات.

فكل استذكار ليس أجل وأسمى تعبير عنه سوى الدمع، وحده يفهم أو يفرش في لحظة واحدة العذاب المديد والكفاح المثمر كحل بديل منطقي عن الكلام الكثير.

أردت أن أستذكر ثلاثة مواقف، هن قريبات.

موقف ليس ببعيد عن ذاكرة الناس، رآه من رآه من على شاشة التلفاز قبل هبوب رياح التغيير السياسي، ولكن من دون قراءة تمحيصية لخلفيات اللحظة.

موقف آخر حصل من على شاشة(قناة الشرقية).

موقف ثالث ربما رآه جمع من مثقفي البلد وطلاب الثقافة داخل قاعة احتفالية، مع عدم اعتمادي على التسلسل التاريخي للمواقف الثلاثة.

الموقف الأوَّل:

وقف رجل البلاد الأوّل أمام زبانيته وهو يستلم ما أعد له من سيوف لا تحارب ومصاحف طبعت للزينة خطت حروف آياتها بدمه، حاول أن يستدر ولو دمعة واحدة كي يوهم أو ينال رضا الشعب المغلوب على أمره، لكن الدمع رفض أن يهبط، ربما لسبب وجيه، هو أن الدمع لا يمتلك سوى جوازي مرور، جواز الحزن وجواز السرور، بينما كان((المنتهي حكمه بأمر الله))خالياً من النقيضين، بل كان يقف في الوسط مرتجفاً لما ينتظره من قرار أممي حاسم،

وقف وتعالت التصفيقات كي تأتي لتغطية الفشل الذي تحقق على الهواء مباشرة.

كانت النتيجة دمعة كاذبة استحقت أن أستذكرها ولو بعد حين، تلك هي خصال الكاذبين في التاريخ، الذين((أخذتهم العزة بالإثم))لم يدخروا وسعاً من أجل زيادة أرصدتهم التواجدية في قلب الزمان، متناسين أن صروح الرمال تنهار لأوهن ريح.

الموقف الثاني:

من على شاشة(قناة الشرقية)تم تقديم برنامجاً ذكياً باستضافة رموز الفن (العراقي) الأصيل، كان ضيف الشاشة، الفنان المنسي (حسين نعمة) الذي جاهد كي يحافظ على أصالة فنه وكلامه على الرغم من أغنيته الشهيرة (العزيز أنت)، لقد ذرف دمعة ويا لها من دمعة عند أولي الألباب، دمعة نبعت من صميم إنسان (عراقي) منح روحه الجميلة عصفوراً لطالما أسعد الناس وأدخل السرور إلى قلوب العاشقات والعشاق.

دمعة عبرت عن تاريخه الطويل وهو يفلّس حياته على مسرح بلده كي يشعر الناس أنهم أصحاب تراث لن يضيع ولهم قلوب نابضة بالعواطف والحنين وحب الحياة.

دمعة(حسين نعمة)كانت صادقة أبكت عيون عشّاق الفن والحياة وأبكت أعداء التجديد أيضاً، ربما جاءت الدمعة لتكفر عن تلك الغلطة الفنية المتمثلة بأنشودته

التعبوية.

الموقف الثالث:

موقف توزع بين فرح وحزن.

كان ذلك يوم اختيار صديقي الأثير الكاتب القدير(أحمد خلف) مبدعاً من قبل كلية (اليرموك الجامعة)، وبجهد يحسد عليه صديقنا الفاضل الدكتور (فاضل عبود التميمي).

لقد توقف لسان(أحمد خلف)لحظة أراد أن يسرد أو يستذكر مسيرته الإبداعية الطويلة ومعاناته الشخصية والعائلية المحفوفة بالسهر والحرمان.

هبطت من كوكبي عينيه دموع الحرص والتفاني والإصرار التام ليكون إنساناً منتجاً ومصدر سرور لعشاق الكلمة الشريفة والنزيهة للناس ولبلده.

دمعة(حسين نعمة)

دمعة(أحمد خلف)

دمعتان عراقيتان، هبطتا من أعماقنا وعرضتا أمامنا أيامنا الجميلة وذلك التواضع الذي افتقدناه.

دمعة (السيد الرئيس) لم تحقق اليقين في عقل مواطن واحد، كانت دمعة مصطنعة.

وشتان ما بين الدموع الثلاث.

رغم أننا صرنا أكثر البشر ذرفاً للدموع، وصار الدمع عنواننا الرئيس في الحياة، صرنا نذرفه على ماضينا الذي ضاع مثلما نذرفه على ما نفقد في كل لحظة من فلذات أكباد وأحباء.

يقول نيكوس كازانتزاكس:
[الدموع جليد الروح المذاب]

حذاء..يات

شبع بعض العراقيين فرحاً وطرباً وعادوا لعادتهم القديمة النزول إلى الشوارع والرقص بعدما حققوا

حلمهم السياسي الكبير، بعد طويل بكاء، تحقيق(النصر)المعنوي على العدو المنبوذ (أميركا).

تناسوا شهداءنا وأموالنا المنهوبة ودمار مؤسساتنا وخراب أو (بيع) مستقبلنا، وعجز ميزانيتنا لدفع الديون المترتبة على رؤوسنا إلى أبد الآبدين.

على ما يبدو أن الناس(انتظرت) طويلاً هذه الفرصة التاريخية، تنظر وتنتظر منقذاً سياسياً كي يعيد الأخوّة التي تفككت، ولملمة ديننا الذي تجزأ، وإعادة عائلاتنا التي تشردت، والبدء ببناء دور سكنية لناس تسكن الخيام ودور الدولة المنهارة.

وشاءت الصدفة التاريخية أيضاً أن يكون هذا الشخص (المنتظر) أسمه(منتظر)، أعاد الفرح لأناس من شعبٍ لن يترجل مهما كانت المآسي من شموخه وكبرياءه وكرامته.

(منتظر) أشاع البهجة العارمة في ربوع أجساد وأزاح ببطولته (الغريبة) ترسبات المآسي وويلات الخراب من قلوب تشعر أو تتوهم أنها مفجوعة، بتعبير مفهوم عند البعض(أثلج الصدور).

لم يفعل شيئاً مكلفاً ولا مدراً لأموال البلد ولا تشكيل لجان تتناطح بالفئوية والعنصرية والطائفية على حساب الآخرين، بل قام بكل هدوء بتوجيه (حذاءيه) نحو شخصٍ جاء ليطلق (رصاصة الرحمة) على (عراق يحتضر).

***

هـل يغفـل العـالم مـا هـو دور الــ(حذاء)في راهـن زمننا.

للـ(حذاء) دور تاريخي كبير لبلورة الثقافة وتدجين النـاس وتسـييس العقـول وتوحيـد الطوائـف وتمزيـق ورقـة التمييـز والعنصـرية الرائجـة فـي بلـدان الشـرق الخامل، وله دور تاريخي لجلب العملة الصعبة للبلدان التــي راحـت تتبـاهى بــ(أحذية) أبنائهـا، والتــي هــي منـاجم ذهبيـة وراحـت مـن أجلهـا ترفع(رايـة) الـبلاد وتعـزف النشـيد الــوطني وتؤســس مــدارس لتنميــة وتطوير تلك الـ(أحذية)الذهبية الجلدية طبعاً.

فالـ(حذاء)بات مصدر قوّة للشعوب.

رمز وعزة وشرف وكبرياء ورافع الرؤوس.

أم أننـا نسينا(أحذية) الــ(**11**)لاعـب(عراقي) عنـدما جعلـوا (العراق) كتلـة متراصـة راقصـة فرحانـة ناسية الشـهداء والخسـارات المتتاليـة لبقيـة العمـر، يـوم جلبـوا (كـأس أمـم آسـيا) إلى(بغـداد)، لقد وحـدوا بــ(أحذيتهم) الجلدية(الذهبيــة)ما عجـزت السياسـات العالميـة كلهـا مــن دفــع ورقــة باهتــة جــداً ورقة(المصــالحة الوطنية)ولو (مليمتر) واحد نحو شاطئ التحقيق.

***

(الأمـم المتحـدة) عجـزت مـن إحـداث أي تغييـر فـي المعـايير السياسية عبر تواجدها الساخن في قلب كل حـدث ، ظلّـت مؤسســة فاشـلة لتمريـر مـا تناسـب

أصحاب (الفيتو) وتدمير ما يخالفها.

بيد أن (الإتحاد الدولي لكرة القدم) تمكن من توحيد الدول وجعلها حريصة كل الحرص على الالتزام التام بالمواعيد التي تقرها، وجعلت كل العالم يبدأ دوريها الكروي في يوم واحد وينتهي في موعد واحد، صار له يوماً عالمياً للـ(حذاء) ـ عفو ـ للكرة.

في هذا اليوم تتبارى كل بلدان العالم فيما بينها مباريات دولية ودية، كل الكرة الأرضية تتحد لمشاهدة الـ(أحذية) الراكضة، كل عيونهم تتحمس وتنسجم وتراقب(أحذية)جلدية تداعب كرة جلدية أيضاً، أو تسجل الأهداف التي توحد كل مشاهدي العالم مهما كانت هوياتهم ومذاهبهم ولغاتهم، رئيس البلد أو الملك يساوي الكنّاس وماسح الـ(أحذية)، الكل سواسية، حتى صار هناك(يوم سنوي)لتسليم لاعب واحد جائزة(الحذاء الذهبي)، يقف اللاعب فرحاناً وهو يعرض (الحذاء الذهبي)أمام كاميرات تتصارع من أجل الفوز بلقطة(حذائية)نادرة مرفوعة على رؤوس الجالسين والمشاهدين داخل القاعة وعبر جهات البسيطة.

***

الرأس من يحق له تسجيل الأهداف، الـ(حذاء)أيضاً مسموح له بتسجيل الأهداف، هناك رؤوس ذهبية في كرة القدم، وهناك أيضاً أقدام ذهبية.

***

(بيليـــــه)كان صـــــبّاغ(أحذية)في طفولتـــــه الـ(حذاء)أوصله إلى وزير الرياضة في بلده.

***

كثيــر مــن النــاس يلمعون(أحــذيتهم)أكثر ممــا ينشــغلون بتلميــع أغــوارهم، أو تلميــع صــفاتهم وتصرفاتهم.

***

النسـاء يبـدين اهتمامـاً لاختيـار(زوج حذاء)مناسـب أكثــر ممــا يبــدين اهتمــامهن باختيار(زوج)مناســب لحياتهن.

***

زوج (حــذاء) لا يســاوي (حــذاء) زوج، و(زوج) يعني بعل، ويعني أيضاً باللغة الدارجة(غشيم).

***

في قلب العاصمة، تم فتح متجراً للـ(أحذية)الأجنبية المسـتوردة، بـين رفـرف الــ(أحذية)المتلامعة وتحـت تسليطات مـاكرة لـوهج نيونـات خادعـة توجد لوحـات ذهبية واضحة الخط:

((أختر حذاءك وفق ما يليق بشخصيتك))
((الحذاء مكمل ساحر لشخصيتك الدونجوانية))
((الحذاء مصدر أناقتك في هذا العصر الساحر))
((حذاءك دليل ذوقك الحضاري))
((من يلبس حذاءنا لا ينسانا))

في الجهة المقابلة للمتجر توجد عربة عليها ركام (أحذية) (لنكة) ومضخم صوت ينادي المستطرقين:
((حذاءكم علينا))

***

المعلمون والمدرسون منشغلون هذه الأيام بحكاية (حذاء) (منتظر)، يتضاحكون ويتصايحون، كل واحد يبدي رأيه، كلهم يتمنون أن يكونوا هم ((أصحاب اليد المباركة بدم العراقيين وعرقهم ونضالهم ومآسيهم وتشردهم وجوعهم وصبرهم))اليد التي رمت رغم أنها أخطأت الرأس.

أحدهم أوقف النقاش الصراخي الذي طال وأنستهم رنين (جرس) بدأ الدروس، ذلك الـ(أحدهم)حكى لزملائه ما سمع من راديو(سوا)أو(نوا)أو(هوا)..أن(وزير الخارجية)أعلن بصريح الكلام أن الحكومة ربما لن تدفع رواتب الموظفين خلال الأشهر القادمة ما لم يصدر قرار أممي بوقف نهب أموال (العراق)المجمدة في بنوك العالم، من قبل عصابات تحتال وفق دعوات كيدية ناجحة، فجأة صاحت الأفواه دفعة واحدة:

((سنعتصم))

ثم صاحت:

((سنضرب عن الدوام))

ثم:

((سنرفع أحذيتنا وننزل إلى الشوارع))

وشـــاءت الصـــدفة التاريخيـــة أن يفرقـــع بـاب(الإدارة)في تلـك الجلسـة لصـفعة مباغتـة، سـكت الجميـع، تقـدم نفـس الـ(أحدهم) وفـتح البـاب، وجد(حـذاء)مرمي لصـق البـاب، وواحـداً يحلـق فـي المسـافة الفاصـلة بـين رأسـه وبـين الرامـي، تحاشـاه منحنيـــاً، لكـــن (الحـــذاء) واصـــل غارته(المنتظريـــة)مقتحماً حرمـــة الإدارة وكاســراً زجاجـة النافـذة، رفـع الـ(أحدهم)رأسه ووجـد تلميـذاً مدمي الرأس أمامه، أعتذر التلميذ بخجل وهو يقول:

((أستاذ ـ فلان ـ قال للتلاميذ أنني أشبه ـ بوش الملعون ـ نزع الطلاب ـ أحذيتهم ـ وضربوني على رأسي، وقبل أن يضربوني ـ بالفردة ـ الثانية هربت إليكم، لكن ـ فلان و فلان ـ رميا ـ فردتي ـ حذاءيهما ـ الثانية وراءي))

فـي اجتمـاع استثنائي طـارئ لمجلس المدرسين تم اتخاذ قراراً صارماً بحق راميا(الفردتين الأخيرتين):

((تغريمهما بشراء زجاج جديد للنافذة))

وشـربوا ـ بالضـحكات ـ الشـاي الـذي بـرد فـي صحة(منتظر الزيدي).

***

ذقـن الجنـدي و حـذاءه يتسـاويان، هكـذا تقـول الأعراف العسكرية العراقية، لا فرق بين ذقن الجندي وحذاءه (البسطال) في ساحة العرضات.

يجب أن تحلق الذقون كل صباح ويجب أن تصبغ

الأحذية كل صباح أيضاً في.

الحذاء غير المصبوغ يدخل الجندي إلى السجن مع حلاقة نمرة(صفر) كذلك الذقن إذا لم يلمع، يدخل الجندي إلى السجن مع ضرب رأسه بالموسى وحرمانه من الإجازة.

صدق من شتم:

((طايح الحظ تره بس أكَوم لك أزين لحيتك بـ ـ القندرة ـ))

***

الضبّاط يركزون على أحذية الجنود أكثر مما يركزون على مدى صلاحيتهم لأداء الواجبات الوطنية.

***

(سيلين)التي سحرتنا بصوتها الباهر وهي تغني في فلم (تايتنك) لها أكثر من مائتي زوج حذاء.

***

لابد أن(بوش)عندما غادر(العراق)متوجهاً نحو(أفغانستان)سأل مرافقه: ((ماذا يلبسون الأفغانيّون؟))

حتماً قال له مرافقه:

((لا تخش سيادة الرئيس، الأفغانيّون لا يلبسون أحذية، أنهم يلبسون ـ كلاشات ـ والكلاش ـ مصنوع من خيوط البريسم والحرير الصافي، حين يصيب الهدف، لا يؤلم، بل يشعرك أن امرأة شرقية فاتنة

وناعمة مثل البريسم، من زمن (ألف ليلة وليلة)تسقط عليك.

***

لم يكن(بوش الابن)أوّل من توجهت أحذية إلى رأسه، لقد سبقه ـ بوش الأب ـ عندما رسمت السلطة المنهزمة صورته أمام أحد الفنادق في عاصمتنا الحبيبة(بغداد)كي تضربه أحذية الداخلين والخارجين.

***

قيل أن الفنّانة العراقية(ليلى العطّار)هي من رسمت صورة ـ بوش الأب ـ على عتبة الفندق، فأرسلت(أمريكا) صاروخاً ذكياً جداً عبرت القارات والمحيطات ودفنت(ليلى)وعائلتها وتاريخها الفنّي وموهبتها تحت ركام منزلها.

السؤال المطروح:

((هل تكرر ـ أمريكا ـ ذلك مع ـ منتظر الزيدي ـ بعد خروجه من السجن؟))

***

(الاتفاقية الأمنية)مررت رغم تحدياتنا وصراخاتنا، (أمريكا) حققت أمنيتها وأمنها الاستراتيجي، (العراق)يواصل خسارات متلاحقة في كافة الأصعدة، ينزف دماء أبناءه، يهدر أمواله، ناسه تموت ونفطه منهوب، وساسته فاسدون وعاجزون، وجائحة العجز في العملة العالمية تلهث لتنهش بما بقى لدينا بقايا توسلات أو دعوات أو صلوات أو أحزان.

هـل سـكوت النـاس سـيدوم؟أم أن النـاس اكتشـفت حرب جديدة، حرب الأحذية بعدما تم تجريد الناس من أسلحتها الشخصية، وحرب الحجارة فشلت في انتزاع حقوق الفلسطينيين.

الحرب العالمية ما بعد القادمة قالها ذات مرّة واحد عالمي أجهل أسمه حين سألوه عنها..أجاب:

((لا تسـألوني عـن الحـرب العالميـة الثالثـة، بـل أسـألوني عن الحرب العالمية الرابعة، كونها حرب ستكون بـالأحذية ـ عفوا ـ قالها بـالحرف الواحد بالقنادر والدفرات))

***

قـال رجـل لرجـل: ((هـم.. وقعـوا الاتفاقيـة الأمنيـة بأيديهم، أما نحن وقعناها بزوج حذاء))

***

مثلما أعطينا العالم شعاع الحضارة وأعطيناهم أوّل سـاعة مائيـة، وعلمنـاهم تفخـيخ المركبـات وارتـداء الأحزمـة الناسـفة، واليـوم أعطينـاهم شـرارة الثـورات الحذائية القادمة.

فـلا تسـتغربوا يـا عالم..ربمـا سـترفع النـاس قريباً(أحذيتها)وتشـهرها بوجـه قـاطع أرزاقهـا ومبـدد حياتها.

***

كونـه الطـرف الآخـر مـن ميـزان لعبـة الحـرب والخـراب فـي المنطقـة، هـو أيضـاً أنهـال عل صـورته

يوم كبوة بغداد ـ نعال ـ أبو تحسين الذي تصادف أسمه مع أسم كاتب المقال، (وهو ليس أبي طبعاً)، رأى العالم كيف واصل الرجل صفع ـ بنعاله ـ صورة من سبب في جلب هذا البلاء لشعبنا الكبير بأخلاقه وصفاته وقوّة صبره وصلابته في سوح التحديات.

***

سأل التلميذ المعلم:

((أستاذ بوش واحد لماذا رماه منتظر بزوج حذاء؟))

صاح تلميذ آخر:

((أستاذ أنا أعرف))

وقبل أن يأذن له المعلم..قام التلميذ وقال:

((أستاذ الحذاء الأول كان على رأس بوش أما الحذاء الثاني كان على رأس من والاه))

***

للحصان..أربعة أحذية.

للنهر حذاءين.

هناك نوع من المغناطيس يسمى: حذاء الفرس.

قديماً كانوا يضعون تحت الحذاء(نعلجة).

ملاحظة(النعلجة):هلال حديدي توضع تحت كعب الحذاء لحمايته.

***

قال طفل لطفل:

((عيب عليكم، أبوك طبيب أسنان وأمك ـ جابت ـ

طفل بدون أسنان))

أجابه الطفل:
((عيب عليكم أنتم، أبوك تاجر أحذية وأمك جابت طفل حافي القدمين))

***

سأل القاضي امرأة تعمل بالتهريب:
((لمن كل هذه الأحذية؟))
المرأة المسكينة راحت تخرج زوجاً زوجاً..وتقول:
((سيدي هذا الزوج لزوجي وهذا الزوج لولدي الصغير وهذا الزوج لولدي الكبير وهذا الزوج لزوجة أبني وهذا الزوج لبنتي وهذا الزوج لجارنا وهذا الزوج لامرأة فقيرة تسكن في محلتنا.. ووووووو))
سكتت المرأة..صاح قاضي التحقيق:
((وهذه الأزواج الباقية لمن؟))
((سيدي ـ أسدّ ـ بها ـ حلوك ـ السيطرات))

***

في اجتماع لمؤسسة نفطية، طرح عامل مشكلته، كان من ضمن مجموعة لم يستلموا أحذية الوقاية:
((إستاد لماذا أكلتم الأحذية علينا))

***

في برنامج(من سيربح.....)تم طرح السؤال

الأخير:
ـ ما نوع الحذاء الذي رماه منتظر العراقي، على رأس بوش الأمريكي؟
1 ـ (قبغلي)..يعني بدون قيطان.
2 ـ أبو قيطان.
3 ـ أبو اللاصق.
4 ـ أبو السير:يعني أبو الحزام.
لا تنس ـ بقت ـ لك وسيلة مساعدة واحدة، هو الاتصال بـ(.....)

***

عاجل جداً:
تم قصف حي(.....)بوابل عنيف من الأحذية البلاستيكية، عنيفة الرائحة، وبعد فحصها، توصلت اللجنة على أنها مستوردة حديثاً من(.....)وهي جارة(راعية للشر)و(ما تكعد راحة)
قال المذيع:
عفوا أيها السيدات والسادة، يبدو أن هناك التباساً غير مقصود في الخبر قد حصل، سنوافيكم به فيما بعد.

***

يا عالم الرسول الكريم قال(الإناء ينضح بما فيه).
كل فرد يتصرف بما يسكنه، فهذا يلقي حجراً على من لا يعجبه أو مسبب مصيبة له، وآخر يستعمل الرصاص، وآخر يصرخ ويشتم، وآخر مثل الكلب

ينبح، وآخر يغدر، وآخر.. وآخر.. وآخر.. وما الحذاء إلاّ نوع جديد من التعبير الحضاري عن الغضب المتراكم لدى إنسان بلدان العالم المحتلة.

***

(إعلان غير رسمي)

بعد الذي جرى، على كل مراسل أو صحافي أن يذهب إلى المؤتمرات الصحفية ـ حافي ـ القدمين، ربما التدابير القادمة ستجبرهم على نزع أحذيتهم قبل الولوج إلى القاعة، فالتوقع واجب والفكرة لابد أنها ستكون مطروحة على طاولة النقاشات الصراخية داخل الأروقة السيادية لكل بلاد منكوبة، خوفاً من أحذية أخرى ممكن أن تتطاير، وهذه المرّة الأيدي لا تخطأ الهدف، لأنها ستواصل التدريب والتهديف وهي جاهزة ومهيأة لإصابة الرؤوس المستحقة.

***

قرأت مرة أن أحد زعماء(الروس) في اجتماع لـ(الأمم المتحدة) غضب ولم يتمالك نفسه، قام ورفع حذائه وراح يشهره بوجه وفوق رؤوس الرؤساء والملوك والأمراء والشاهنشاهات والمستشارون والحكّام، مهدداً ومتوعداً بأنه سيفلق رأس كل من يتطاول على بلده بحذائه.

لم أجد سوى تعليقاً مناسباً لما قام به سيادة الرئيس:

((يبدو أن سيادته أمّا كان صبّاغ أحذية في

طفولته، أو زوجته تضربه كل يوم بحذائها))

***

في مدرسة ابتدائية مختلطة، بينما كانت ـ راية ـ المجد والعز تعلو وتمد خفقاتها على أفق غامض(جناحا)، أقتنص المدير بفراسته السياسية القديمة من بين خمسمائة حنجرة، واحدة تنشد صوتاً مختلفاً، مثل كلب بأنفه يتبع رائحة لحم، قبض عليه، كان التلميذ بصوت حماسي يهتف:

((عاش الحذاء..عاش الحذاء))

أنتبه السيد المدير المحترم إن التلميذ حافي القدمين..صاح بوجهه:

((أين حذاؤك؟))

((أستاذ رميته على ـ همر ـ أمريكي مر من زقاقنا))

***

تعجب بائع (اللبلبي) أن نصف المشاركين في المسيرة التي مضت من أمامه باتجاه أصحاب السيادة للمطالبة بإطلاق سراح رامي زوج الحذاء على رأس بوش، كانت أيديهم خالية تتراقص متحمسة، بينما النصف الآخر من المسيرة كانت تتسلح بالأحذية، ولحظة عودتهم كانت الأيدي كلها تحمل أحذية، باغته صاحبه بائع(الباقلاء)بهمس ذبيح:

((خمسة محال أحذية ـ فرهدوها ـ الملاعين في دربهم))

***

فرغت المدينة(....)من الأحذية بعدما اندفعت الناس بجنون وشراء كل ما موجود انقسمت، الناس إلى معسكرين.

المعسكر اليميني.. قال:

((سترتفع أسعار الأحذية بعد الذي جرى))

المعسكر اليساري.. قال:

((سمعنا أن الحكومة ستمنع استيراد الأحذية لمدة خمسة أعوام))

أما الحقيقة أسرها دلال المدينة لمراسل صحافي شاب:

((بائع أحذية طلب مني أن أشيع وأروّج زيارة متوقعة إلى المدينة للرئيس(....)أحد أطراف دول الاحتلال، الغاية منها التخلص من ركام الأحذية في مخازنه))

***

[مجرد رأي]

أرجو الترويج ليوم عالمي للحذاء، كما روّج الإتحاد الدولي لكرة القدم ليوم الكرة الخاص، ونجح في تحقيقه، هذه المرّة يكون مخصصاً للحذاء، طالما لا حذاء بدون كرة قدم ولا كرة قدم بدون حذاء، مع تقديم جائزة مماثلة لجائزتهم، جائزة الحذاء السياسي، أو على عكسهم، جائزة الكرة السياسية لشخص مستحق كل عام.

***

(تنبيه)

ربما ماركة حذاء منتظر الزيدي سيتصاعد بورصتها في أسواق الأحذية العالمية.

***

آلاف الشابات أبدين رغباتهن للزواج من شخص رمى زوج حذاء على رأس بوش.

***

بدأت النساء الحاملات يطلقن على ما في أحشائهن منتظر إذا جاء ولد و منتظرة إذا جاءت بنت.

***

حتماً أن زوج حذاء منتظر هو الأغلى عالمياً من بين الأحذية السياسية.

ويظل حذاء زين الدين زيدان الأغلى في بورصة أحذية كرة القدم.

***

زين الدين زيدان نطح برأسه غريمه الايطالي في نهائي كأس العالم في ألمانيا(**2006**)من أجل كرامته العربية الأصيلة.

أما منتظر كان رأسه العراقي الصلب بعيداً عن غريمه، فأختار السلاح المستحق لينطح به غريمه الأمريكي دفاعاً عن (أرضه وعرضه وماله وشرفه..العراقي)جداً..جداً.

***

((أبن القنادر))شتيمة عراقية مئة بالمئة.
((أضربك مئة قندرة))شتيمة أخرى متطورة.
((تسكت لو أجي أقطع قندرتي على رأسك))..
شتيمة ليست جديدة.

***

فرصة تاريخية:

أضاعت الحكومة فرصة تاريخية حيت قامت بتمزيق زوج حذاء منتظر، بحثاً عن دليل إدانة، أو متفجرات ، في الوقت الذي هطلت عروض عالمية مغرية لشرائها بالعملة الصعبة من قبل مؤسسات رسمية وأشخاص، وكان من الممكن بناء متحف عالمي لزوج الحذاء لاستقطاب السائحين وتوفير عملة صعبة ليوم أسود قادم، كما فعل أحد البنوك اليابانية حين أشترى لوحة الفنان ـ فان كوخ ـ زهرة عبّاد الشمس بخمسة وخمسين مليون دولار، وجرّاء اللوحة كسب زبائن البلد.

***

مصادفة تاريخية.

كان الحجيج يرمون الجمرات على الشيطان .انتبهوا.. بـ(منى)

بينما كان منتظر الزيدي يرمي حذاءيه على رأس الشيطان ـ بوش ـ انتبهوا..بـ(مبنى).

الم يقل بوش:

((سأتحالف مع الشيطان من أجل قلع الرئيس من

السلطة))
يقول محمد الماغوط:
[لا شيء يربطني بهذا العالم سوى الحذاء]

قصة الحذاء

يا..عالم
أليس القانون:
((ظلّ الله في الأرض))

أفتونا يرحمكم الله في مسألة:
((شاب فعل ما أمرته الغيرة به))
((يعرف المجرمون بسيمهم فيؤخذو بالنواصي والأقدام))
قال الله تعالى ذلك في(سورة الرحمن))
((فبأيِّ ءالآء ربِّكما تكذّبان))

***

تفاجأ الشاب أن خطيبته ردّت عليه كيلو غرام الذهب ـ نيشان ـ خطوبتها، متنازلة عن مزاجها القديم، وأرادت بدلاً منه زوج حذاء من ماركة حذاء منتظر الزيدي.
علّق صاحبه على ذلك:
((كانت لدينا خطبتان، خطبة دينية، وخطبة سياسية، واليوم سنضيف خطبة ثالثة خطبة حذاءيه))

***

ورد تواً ما يلي:
((تم إضافة فقرة جديدة إلى فقرات الحصّة التموينية، فقرة إضافة توزيع أحذية لكل أفراد العائلة شتوية وصيفية، انسجاما مع متطلبات الظرف الراهن من عصر الديمقراطية.

***

في برنامج(صاية وصرماية)
تفاجأت لجنة المقابلة بأن جميع العاطلين عن

العمل.. قدموا مشاريعهم.. بناء معمل أحذية.

***

(طرفة ليست لي)

يحكى أن ـ ملا نصر الدين ـ المكنى بـ جحا، توضأ ذات يوم من ماء النهر، سقط حذاءه في الماء، أدار قفاه إلى النهر وأطلق ريحاً صائتاً.. وهو يصيح:

((أيها النهر خذ وضوءك وهات حذاءي))

***

لقد نجحت خطة بائع الأحذية حين كتب أسم(.....)على صفقة مستوردة من(لبنان).

شاهد عيان أكّد:

((حتى العاطلين عن العمل ـ تداينوا ـ من أجل شراء زوج حذاء للذكرى.

***

بول برايتنر لاعب ألماني شهير، يوم وصلت ألمانيا إلى نهائي كأس العالم في المكسيك، لتقابل في النهائي راقصوا التانغو الأرجنتين..واعد ألمانيا:

((سأأكل حذاءي أذا لم نفز بالكأس))

خسرت ألمانيا ولم يفِ برايتنر بوعده المشؤوم.

***

مصادر موثوقة تؤكد:

((بدأت سرقات الأحذية تعود إلى المساجد))

تم إحباط ذلك السرطان الشعبي الصاعد بخطة مضادة، وضع خرسانات كونكريتية في كل شارع

عليه مسجد لمنع مرور الهمرات.

***

ظلّ طفل أمريكي يفز من منامه كل ليلة، تبين فيما بعد أنه كان يرى في سماء أمريكا صحون طائرة تشبه أحذية.

***

ثبت بالدليل القاطع:
أنّ للنهر..حذاءين.
أنّ للشارع حذاءين.

***

في يوم ما شاع في زمان ـ الخنافس ـ نوع من ـ الزلف ـ مثل حذاءين على صفحتي الوجه.

***

سابقاً قيل:
((العصا لمن عصا))
لاحقاً سيقولون:
((الحذاء لمن لا يحذو حذو الإنسانية))

***

سألت المعلمة التلاميذ:
((من يعرب الجملة التالية..رمينا الحذاء))
أجاب أحد التلاميذ:
((رمينا.. فعل عراقي فاعله شاب معلوم مسجون أسمه منتظر الحذاء.. ردّة فعل مبنية على آلام شعب يحتضر))

***

يوم أطلق بلبل العراق الغريد غزّاي درع الطائي صفة العقرب على مادلين أولبرايت في قصيدة، دخلت أولبرايت أروقة الأمم المتحدة وهي تضع عقرباً على صدرها.

السؤال المطروح:

((هل سيودع ـ بوش ـ الشعب الأمريكي في ـ خطبة الرحيل ـ بوضع حذاء على صدره؟))

***

إلى ذلك نسترعي الانتباه.

قدّم شحّاذ احتجاجا لقناة فضائية مدعياً أن الحذاء الذي يلبسه، هو أشهر حذاء في الذاكرة التاريخية، وهو إرث يحتفظ به لجده أبو قاسم الطنبوري.

أقنعته الفضائية بأن القناة ستطرح الموضوع في استفتاء شعبي عام مطلع العام القادم.

***

مطربة تبحث عن الشهرة أعلنت أنها تبحث عن قصيدة تمجد الحذاء لتطلقها في ألبومها الجديد.

تهاطلت عليها القصائد الحذاءية، بعد قراءة متعبة وجدت النص المختار:

يا فاتنتي.. قلمي رهن يديك
ليتني كنت(.....)في قدميك
لأحميك من الحسّاد اللي حواليك
واقذفيني في وجوه من يرفض أغانيك

أرجوك إن كانت لديك أحذية
فلا تخيبي رجاءي إليكِ
اجعليني فرشاة تلميع لواقيات ساقيك.
تقول مارلين مونرو:
[أعـطِ فتــاة حـذاء لائقـاً عنـدها تسـتطيع أن تغـزو العالم]

تنويه

نشرت المقالات في جريدة الزمان ضمن الأعمدة الصحفية، في فترة وجيزة متقاربة، ولم يتسنى لنا الحصول على قسم منها بسبب فقدانها جراء التنقلات والتهجير وتعرض المنزل إلى غربلة وسرقة من قبل حامي حما العباد والبلاد خلال الفوضى التي عمّت البلاد وسقطت المحافظات والبلدات.

***

◆ (رب نافعة ضارة أيضاً)	جريدة الزمان	العدد 2384 الأربعاء 26 نيسان 2006
◆ (من يتيم قريش خذوا نهجكم)	جريدة الزمان	العدد 2386 السبت 29 نيسان 2006
◆ (من سيريح العراق)	جريدة الزمان	العدد 2408 الأربعاء 24 أيار 2006
◆ (إلى ذلك نسترعي الانتباه)	جريدة الزمان	العدد 2469 السبت 5 آب 2006
◆(غريب الدار في بلاده)	جريدة الزمان	العدد2470 الأحد6 آب 2006
◆ (بلاد تائهة)ق1	جريدة الزمان	العدد2471 الاثنين 7 آب 2006
◆ (بلاد تائهة)ق2	جريدة الزمان	العدد2472 الثلاثاء8 آب 2006
◆ (دمعتان ودمعة)	جريدة الزمان	العدد 2476 الأحد 13 آب 2006
◆(هل حقاً كاد أن يكون رسولا)	جريدة الزمان	العدد2477 الاثنين 14 آب 2006

◆ (حتى أنت يا جمعة)	جريدة الزمان	العدد2489 الأربعاء 30 آب 2006
◆ (حكاية ربّاط الكلام	جريدة الزمان	العدد2490 الخميس 31 آب 2006
◆◆◆◆		
◆ (لا تلعنوا آب رجاء)	الحوار المتمدن	العدد 2363 4 آب 2008
◆ (من سيريح العراق)	الحوار المتمدن	العدد 2364 5 آب 2008
◆ (سيرة الدكتاتور من الفردانية إلى الأفرادية)	الحوار المتمدن	العدد 2367 8 آب 2008
◆(تواضعوا يرحمكم الله)	الحوار المتمدن	العدد 2369 10 آب 2008
◆(هل حقاً كاد أن يكون رسولا)	الحوار المتمدن	العدد 2372 13 آب 2008
◆ (بين دمعتي أحمد خلف ودمعة حسين نعمة دمعة كاذبة)	الحوار المتمدن	العدد 2377 18 آب 2008
◆ (غريب الدار)	الحوار المتمدن	العدد 2381 22 آب 2008
◆ (فن النصر)	الحوار المتمدن	العدد 2385 26 آب 2008
◆ (رب نافعة ضارة أيضاً)	الحوار المتمدن	العدد 2389 30 آب 2008
◆(إلى ذلك نسترعي الانتباه)	الحوار المتمدن	العدد 2390 31 آب 2008
◆ (رباط الكلام)	الحوار المتمدن	العدد 2399 9 أيلول 2008
◆ (الرابح يأتي من الخلف)	الحوار المتمدن	العدد 2401 11 أيلول 2008
◆(براءة اكتشاف.. البرلمانيون لا يقرؤون)	الحوار المتمدن	العدد 2441 21 ت1 2008
◆ (صبر العراق أيّوبي)	الحوار المتمدن	العدد 2442 22 ت1 2008
◆(الاتفاقية الأمنية بين مطرقة أمريكا وسندان الفوضى)	الحوار المتمدن	العدد 2454 3 ت2 2008
◆(السكن في البيت الأبيض)	الحوار المتمدن	العدد 2461 10 ت2 2008

◆ (حذاءيات)	الحوار المتمدن	العـــدد2501 20كـــانون1 2008
◆ (خطبة حذائية)	الحوار المتمدن	العـــدد2502 21كـــانون1 2008

الفهرست

1. السكن في البيت الأبيض 15
2. سيرة الدكتاتور من الفردانية إلى الأفرادية. 22
3. الاتفاقية الأمنية بين مطرقة أميركا وسندان الفوضى . . 27
4. فن النصر 35
5. من سيربح العراق. 42
6. إلى ذلك نسترعي الانتباه. 48
7. غريب الدار. 54
8. صبرنا العراقي أيوبي. 58
9. حتى أنت يا جمعة. 63
10. الرابح في الخلف. 67
11. صورة المجاهد في نضاله. 72
12. موسم الهجرة إلى الأمان. 78
13. من يتيم قريش خذوا نهجكم. 84
14. براءة اكتشاف..البرلمانيون لا يقرؤون. 88
15. خذني معاك. 93
16. حكاية ربّاط الكلام. 98

17ـ رب نافعة ضارة أيضاً. 102
18ـ هل حقاً كاد أن يكون رسولا. 107
19ـ لا تلعنوا آب رجاء. 112
20ـ بلاد تائهة. 117
21ـ بين دمعة أحمد خلف ودمعة حسين نعمة..دمعة كاذبة. . 128
22ـ حذاءيات 133
23ـ قصة الحذاء 152